۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾

شرح الكلمات :

لأمارة بالسوء : أي كثيرة الأمر والسوء هو ما يُسيء إلى النفس البشرية مثل الذنوب.

إلا ما رحم ربي : أي إلا من رحمه الله فإن نفسه لا تأمر بالسوء لطيبها وطهارتها.

استخلصه لنفسي : أجعله من خلصائي من أهل مشورتي وأسراري.

مكين أمين : أي ذو مكانة تتمكن بها من فعل ما تشاء، أمين مؤتمن على كل شيء عندنا.

خزائن الأرض : أي خزائن الدولة في أرض مصر.

إني حفيظ عليم : أي أحافظ على ما تسنده إليّ واحفظه، عليم بتدبيره.

يتبوأ : أي ينزل ويحل حيث يشاء بعد ما كان في غيابة الجُب وضيق السجن.

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث على يوسف عليه السلام فقوله تعالى: ﴿وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم﴾ هذا من قول يوسف عليه[1]

---

(١) على ما رجحته في التفسير. وعلى قول شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم فهو من قول امرأة العزيز.

السلام، إذ قال لما طلب إلى الملك أن يحقق في قضية النسوة اللاتي قطعن أيديهن وامرأة العزيز وتم التحقيق بالإعلان عن براءة يوسف مما اتهم به قال ذلك، أي فعلت ليعلم العزيز أني لم أخنه بالغيب، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين. وهضماً لنفسه من جهة ومن جهة أخرى فقد همَّ بضرب زليخا كما تقدم، قال: ﴿وما أبرِّىء نفسي﴾ وعلل لذلك فقال ﴿إن النفس﴾ أي البشرية ﴿لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي﴾[1] إلا نفساً رحمها ربي بتوفيقها إلى تزكيتها وتطهيرها بالإيمان وصالح الأعمال فإنها تصبح نفساً مطمئنة تأمر بالخير وتنهى عن الشر[2]، وقوله: ﴿إن ربي غفور رحيم﴾ ذكر هذه الجملة تعليلاً لقوله: ﴿وما أبرىء نفسي﴾ فذكر وإن حصل منيّ هم بضرب وهو سوء فإني تبت إلى الله، والله غفور أي يعفو ويصفح فلا يؤاخذ من تاب إليه ويرحمه فإنه رحيم بالمؤمنين من عباده. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٣) أما الآية الثانية (٥٤) والثالثة (٥٥) فقد تضمنت استدعاء الملك ليوسف وما دار من حديث بينهما إذ قال تعالى: ﴿وقال الملك﴾ الريان بن الوليد ﴿إئتوني به﴾ أي بيوسف بعد أن ظهر له علمه وكماله الروحي ﴿أستخلصه لنفسي﴾ أي أجعله خالصاً لي استشيره في أمري واستعين به على مهام ملكي وجاء يوسف من السجن وجلس إلى الملك وتحدث معه وسأله عن موضوع سني الخصب والجدب فأجابه بما أثلج صدره من التدابير الحكيمة السديدة وهنا قال له ما أَخْبَرَ تعالى به قال له: ﴿إنَّك اليوم لدينا مكين أمين﴾ أي ذو مكانة عندنا تمكنك من التصرف في البلاد كيف تشاء أمين على كل شيء عندنا فأجابه يوسف بما أخبر به تعالى بقوله: ﴿قال اجعلني[3] على خزائن الأرض﴾ أي أرض مصر ومعنى هذا أنه حل محل العزيز الذي قد مات في تلك الأيام. وعلل لطلبه وزارة المال والاقتصاد بقوله: ﴿إنِّي حفيظ عليم﴾ أي حفيظ على ما أتولى تدبيره عليم بكيفية الإدارة وتدبير الشؤون. وقوله تعالى في الآية الرابعة (٥٦): ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء﴾ أي بمثل هذه الأسباب

---

(١) ﴿ما رحم﴾ ما: بمعنى: مَنْ، وهي شائعة الاستعمال، من ذلك: فانكحوا ما طاب لكم. أي: من طبن لكم من النساء.

(٢) وبذلك يتمّ عصمتها بإذن الله تعالى.

(٣) قال بعض أهل العلم: في الآية دليل على جواز عمل الرجل الصالح للرجل الكافر أو الفاجر إذا كان ذلك لا يضرّ بدينه، وهو كذلك، وفيها دليل على جواز ذكر طالب العمل كفاءته العلمية حتى يسند إليه العمل على أن يكون صادقاً في ذلك، وليس هذا من باب: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ ولا هو من باب طلب الإمارة حيث قال الرسول ﷺ: (لن نستعمل على عملنا هذا مَنْ أراده) رواه مسلم.

والتدابير مكنا ليوسف في أرض مصر يتبوأ منها أي ينزل حيث يشاء يتقلب فيها أخذاً وعطاء وإنشاء وتعميراً لأنه أصبح وزيراً مطلق التصرف. وقوله تعالى: ﴿نصيب برحمتنا من نشاء﴾ أي رحمته من عبادنا ولا نضيع أجر المحسنين، وهذا وعد من الله تعالى لأهل الإحسان بتوفيتهم أجورهم، ويوسف عليه السلام من شاء الله رحمتهم كما هو من أهل الإحسان الذين يوفيهم الله تعالى أجورهم في الدنيا والآخرة، وأخبر تعالى أن أجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون، ترغيباً في الإيمان والتقوى إذ بهما تنال ولاية الله تعالى عز وجل إذ أولياؤه هم المؤمنون المتقون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ فضيلة هضم النفس باتهامها بالنقص والتقصير.

٢ـ تحقيق الحكمة القائلة: المرء مخبوء تحت لسانه.

٣ـ جواز ذكْرِ المُرشَّح للعمل كحذق الصنعة ونحوه ولا يعد تزكية للنفس.

٤ـ فضيلة الإحسان في المعتقد والقول والعمل.

٥ـ فضل الإيمان والتقوى.

وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

شرح الكلمات:

وجاء إخوة يوسف : من أرض كنعان لما بلغهم أن ملك مصر يبيع الطعام.

وهم له منكرون : أي غير عارفين أنه أخوهم.

ولما جهزهم بجهازهم : أي أكرمهم وزودهم بما يحتاجون إليه في سفرهم بعدما كال لهم ما ابتاعوه منه.

بأخ لكم من أبيكم : هو بِنْيامين لأنه لم يجىء معهم لأن والده لم يقدر على فراقه.

سنراود عنه أباه : أي سنجتهد في طلبه منه.

وقال لفتيانه : أي غلمانه وخدمه.

بضاعتهم : أي دراهمهم التي جاءوا يمتارون بها.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في الحديث عن قصة يوسف عليه السلام وتتبع أحداثها، إنه بعد أن ولي يوسف أمر الوزارة ومرت سنوات الخصب وجاءت سنوات الجدب فاحتاج أهل أرض كنعان الى الطعام كغيرهم فبعث يعقوب عليه السلام بنيه يمتارون وكانوا عشرة رجال بعد أن علم أن ملك مصر يبيع الطعام، قال تعالى مخبراً عن حالهم: ﴿وجاء إخوة يوسف﴾[1] أي من أرض كنعان ﴿فدخلوا عليه﴾ أي على يوسف ﴿فعرفهم وهم له منكرون﴾ أي لم يعرفوه لتغيره بكبر السن وتغير أحواله[2] وقوله تعالى: ﴿ولما جهزهم بجهازهم﴾[3] أي كال لهم وحَمَّل لكل واحد بعيره بعد أن أكرمهم غاية الإكرام ﴿قال ائتوني[4] بأخ لكم من أبيكم﴾ ولا شك أنه قد سألهم عن أحوالهم فأخبروه عن أبيهم وأولاده بالتفصيل فلذا قال لهم ﴿ائتوني بأخ لكم من أبيكم﴾ وهو بنيامين ورغبهم في ذلك بقوله: ﴿ألا ترون أني أوفِ الكيل وأنا خير المنزلين﴾ أي خير المضيفين لمن نزل عليهم ﴿فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون﴾. بعد هذا الإلحاح عليهم أجابوه بما أخبر تعالى به عنهم بقوله: ﴿قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون﴾ أي سنبذل جهدنا في طلبه

---

(١) جاءوا إلى مصر لما أصابهم القحط ليميروا.

(٢) ولطول المدة إذ مضى عليهم يوم فارقوه أربعون سنة.

(٣) الجهاز بالفتح والكسر: ما يحتاج إليه المسافر والمراد به: الطعام الذي امتاروه من عنده.

(٤) سبب طلب يوسف أخاهم أنه كان معهم أحد عشر بعيراً وهم عشرة وقالوا ليوسف: إنّ لنا أخاً تخلف عنا، وبعيره معنا، فسألهم لِمَ تخلّف؟ فقالوا: لحب أبيه إيّاه وذكروا له القصة وما جرى فيها، وهنا قال لهم: إن رجعتم للميرة مرّة أخرى فأتوني بأخٍ لكم من أبيكم، ورغّبهم في ذلك وحذّرهم من أن يأتوا بدونه فإنه لا يبيعهم الطعام الذي هو حاجتهم.

حتى نأتي به، ﴿وإنا لفاعلون﴾ كما أخبرناك.

وقوله تعالى: ﴿وقال لفتيانه[1] اجلعوا بضاعتهم في رحالهم﴾ يخبر تعالى عن قيل يوسف لغلمانه اجعلوا دراهمهم التي اشتروا بها الطعام في رحالهم من حيث لا يشعرون ﴿لعلهم يعرفونها[2] إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون[3]﴾ كل هذا كان رغبة من يوسف في إحضار أخيه الشقيق فجعل رد الدراهم وسيلة لذلك لأنهم إذا وجدوها تحرجوا من أخذها فرجعوا بها. وجاءوا بأخيهم معهم، وهو مطلب يوسف عليه السلام حققه الله.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ عجيب تدبير الله تعالى إذ رؤيا الملك وتعبير يوسف لها وظهورها كما عبرها كان تدبيراً لولاية يوسف ثم لمجيء إخوته يطلبون الطعام لأهليهم ولتتم سلسلة الأحداث الآتية، فلا إله إلا الله، ولا رب سواه.

٢ـ حسن تدبير يوسف عليه السلام للإتيان بأخيه بنيامين تمهيداً للإتيان بالأسرة كلها.

٣ـ أثر الإيمان في السلوك، إذ عرف يوسف أن أخوته لا يستحلون أكل مال بغير حقه فجعل الدراهم في رحالهم ليرجعوا بها ومعهم أخوهم الذي يريد إحضاره.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ (٦٣) قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ (٦٤) وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا

(١) قرىء: ﴿لفتيانه﴾ و﴿لفتيته﴾ قراءتان سبعيتان نحو: صبية وصبيان.

(٢) قال لعلهم يعرفونها: إذ من الجائز أن لا تسلم لهم بضاعتهم بأن تؤخذ منهم في الطريق مثلا.

(٣) من الجائز أن يكون ردّ البضاعة إلى إخوته لأنه كره أن يأخذها من أبيه وإخوته، ومن الجائز أن يكون ردّها إليهم لعلمه أنهم لا يأكلون الطعام بغير حقّه فسيرجعون بها، وهو المراد.

مَا نَبْغِي هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾

شـرح الكلـمات :

منع منا الكيل : أي منع الملك منا الكيل حتى نأتيه بأخينا.

نكـتـل : أي نحصل على الكيل المطلوب.

على أخيه من قبل : أي كما أمنتكم على يوسف من قبل وقد فرطتم فيه.

ما نبغـي : أي أي شيء نبغي.

ونزداد كيل بعير : أي بدل ما كنا عشرة نصبح أحد عشر لكل واحد حمل بعير.

ذلك كيل يسير : أي على الملك لغناه وطوله فلا يضره أن يزيدنا حمل بعير.

موثقـاً : أي عهدا مؤكدا باليمين.

إلا أن يحاط بكم : أي تهلكوا عن آخركم.

مـن شـيء : أي أراد الله خلافـه.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في الحديث عن يوسف وإخوته قال تعالى مخبراً عن رجوع إخوة يوسف من مصر إلى أرض كنعان بفلسطين: ﴿فلما رجعوا إلى أبيهم﴾ أي يعقوب عليه

السلام ﴿قالوا يا أبانا منع منا الكيل﴾ أي منع[1] منا ملك مصر الكيل إلا أن نأتي بأخينا بنيامين ﴿فأرسل معنا أخانا نكتل[2] وإنا له لحافظون﴾ أن يناله مكروه بحال من الأحوال. فأجابهم يعقوب عليه السلام بما أخبر تعالى عنه بقوله: ﴿قال هل آمنكم عليه﴾ أي ما آمنكم عليه ﴿إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل﴾ يعني يوسف لما ذهبوا به إلى البادية. ﴿فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين﴾[3] جرى هذا الحديث بينهم عند وصولهم وقبل فتح أمتعتهم، وأما بعد فتحها فقد قالوا ما أخبر تعالى به في قوله: ﴿ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم﴾ أي دراهمهم ﴿ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا﴾ أي فأرسل معنا أخانا نذهب به الى مصر ﴿ونمير[4] أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير﴾ لأن الملك المصري لا يبيع للنفر الواحد الا حمل بعير نظراً لحاجة الناس إلى الطعام في هذه السنوات الصعبة للجدب العام في البلاد. فأجابهم يعقوب بما قال تعالى عنه ﴿قال لن أرسله معكم حتى تؤتونِ موثقاً من الله﴾ أي حتى تعطوني عهداً مؤكداً باليمين على أن تأتوني به ﴿لتأتنني به إلا أن يحاط بكم﴾[5] بعدو ونحوه فتهلكوا جميعاً فأعطوه ما طلب منهم من عهد وميثاق، قال تعالى: ﴿فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل﴾ أي شهيد عليّ وعليكم، أي فأشهد الله تعالى على عهدهم. ولما أرادوا السفر إلى مصر حملته العاطفة الأبوية والرحمة الإيمانية على أن قال لهم ما أخبر تعالى عنه: ﴿وقال يا بنيّ لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة﴾ أي لا تدخلوا وأنتم أحد عشر رجلاً من باب واحد فتسرع إليكم العين،[6] وإنما ادخلوا من عدة أبواب فلا

---

(١) إذ قال لهم: ﴿فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون﴾.

(٢) أصل نكتل: نكتال فحذفت الألف لسكون اللام بالجازم وقرىء بالياء يكتل: أي أخوهم بنيامين.

(٣) وقرىء: ﴿خير حفظاً﴾ قراءة سبعية.

(٤) ﴿نمير أهلنا﴾ أي نجلب لهم الطعام قال الشاعر:

بعثتك مائراً فمكثت حولاً   متى يأتي غياثك مَنْ تُغيث

(٥) أي: تهلكوا أو تموتوا وإلاّ أن تغلبوا عليه.

(٦) في الآية دليل على ما يلي:

أ ـ على التحرّز من العين، والعين حق لحديث: (إنّ العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر) ولتعوذ الرسول ﷺ منها في غير حديث.

ب ـ على المسلم إن أعجبه شيء أن يبرّك، لقول الرسول ﷺ: (ألا برّكت)!! والتبريك أن يقول: تبارك الله أحسن الخالقين اللهم بارك فيه.

جـ ـ إذا أصاب العبد بعينه لأنّه لم يبرّك فإنه يؤمر بالاغتسال ويجبر عليه.

د ـ إذا عرف المرء بأذاه للناس بعينه يبعد عنهم وجوباً.

تُرون جماعة واحدة أبناء رجل واحد فلا تصيبكم عين الحاسدين ثم قال: ﴿وما أغني عنكم من الله من شيء﴾، وهو كذلك ﴿إن الحكم إلا لله﴾ فما شاءه كان. ﴿عليه توكلت﴾ أي فوضت أمري إليه ﴿وعليه فليتوكل المتوكلون﴾ أي فليفوض إليه المتوكلون أمورهم لأنه الكافي ولا كافي على الحقيقة إلا هو عز جاره وعظم سلطانه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان مدى توكل يعقوب عليه السلام على الله وثقته في ربّه عز وجل، ومعرفته بأسمائه وصفاته، وكيف لا وهو أحد أنبياء الله ورسله عليهم السلام.

٢- جواز أخذ العهد المؤكد في الأمور الهامة ولو على أقرب الناس كالأبناء مثلاً.

٣- لا بأس بتخوف المؤمن من إصابة العين وأخذ الحيطة للوقاية منها مع اعتقاد أن ذلك لا يغني من الله شيئاً وأن الحكم لله وحده في خلقه لا شريك له في ذلك.

٤- وجوب التوكل على الله تعالى وإمضاء العمل الذي تعيّن وتفويض أمر ما يحدث لله تعالى.

وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ

= هـ- الاغتسال من العين: هو أن يغسل المعيان وجهه ويديه، ومرفقيه وركبتيه، وأطراف رجليه وداخل إزاره في إناء ثمّ يصب على المصاب بالعين فيشفى بإذن الله تعالى.

أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾

شرح الكلمات :

إلا حاجة في نفس يعقوب : هي إرادة دفع العين عن أولاده شفقة عليهم .

آوى إليه أخاه : أي ضمه إليه أثناء الأكل وأثناء المبيت .

فلا تبتئس : أي لا تحزن

جعل السقاية : أي صاع الملك وهو من ذهب كان يشرب فيه ثم جعله مكيالاً يكيل به .

أذن مؤذن : نادى منـاد .

أيتها العير : أي القافلة .

صواع الملك : أي صاع الملك . فالصاع والصواع بمعنى واحد .

وأنا به زعيم : أي بالحمل كفيل .

معنى الآيات :

مازال السياق في الحديث عن إخوة يوسف فقد عهد إليهم إذا هم وصلوا إلى ديار مصر أن لا يدخلوا من باب واحد بل من أبواب متعددة خشية العين عليهم ، وقد وصلوا وعملوا بوصية أبيهم فقد قال تعالى مخبراً عنهم ﴿ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم﴾ أي دخولهم من أبواب متفرقة ﴿من الله﴾ أي من قضائه ﴿من شيء إلا حاجة﴾ أي لكن حاجة ﴿في نفس يعقوب﴾ وهي خوف العين عليهم ﴿قضاها﴾[1] أي لا غير .

وقوله تعالى : ﴿ وإنه لذو علم لما علمناه﴾ ثناء على يعقوب أي إنه لصاحب علم وعمل لتعليمنا إياه وقوله : ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ هو كما أخبر عز وجل أكثر

---

(١) ﴿قضاها﴾ أي : أنفذها إذ القضاء : إنفاذ المحكوم به .

الناس لا يعلمون عن الله تعالى صفات جلاله وكماله ومحابه ومساخطه وأبواب الوصول إلى مرضاته والحصول على رضاه ومحبته، وما يتقي مما يحرم على العبد من ذلك. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٦٨).

أما الآية الثانية فقد أخبر تعالى أن إخوة يوسف لما دخلوا عليه في منزله آواى إليه أخاه أي شقيقه وهو بنيامين، وذلك لما جاء وقت النوم جعل كل اثنين فى غرفة وهم أحد عشر رجلاً بقي بنيامين فقال هذا ينام معي، وأنه لما آواه إليه في فراشه أعلمه أنه أخوه يوسف، وأعلمه أن لا يحزن بسبب ما كان إخوته قد عملوه مع أبيهم ومع أخيهم يوسف وأعلمه أنه سيحتال على بقائه معه فلا يكترث بذلك ولا يخبر إخوته بشيء من هذا. هذا ما دلت عليه الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس[1] بما كانوا يعملون﴾.

أما الآية الثالثة (٧٠) فقد تضمنت الإخبار عن تدبير[2] يوسف لبقاء أخيه معه دونهم وذلك أنه لما جهزهم بجهازهم أي كال لهم الطعام وزودهم بما يحتاجون إليه بعد إكرامه لهم جعل بطريق خفيّ لم يشعروا به سقاية الملك وهي الصاع أو الصواع وهي عبارة عن إناء من ذهب كان يشرب فيه ثم جعل آلة كيل خاصة بالملك عرفت بصواع الملك أو صاعه. جعلها فى رحل أخيه بنيامين، ثم لما تحركت القافلة وسارت خطوات نادى منادٍ قائلاً أيتها العير[3] أي يا أهل القافلة إنكم لسارقون. هذا ما تضمنته الآية الكريمة إذ قال تعالى: ﴿فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون﴾. قال تعالى إخباراً عنهم: ﴿قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون﴾ فأجابوا بقولهم: ﴿نفقد صواع الملك، ولمن جاء به حمل بعير﴾ أي مكافأة له ﴿وأنا به زعيم[4]﴾ أي وأنا بإعطائه حمل البعير كفيل.

هداية الآيـات

---

(١) الابتئاس من البؤس الذي هو الحزن والكدر، فالابتئاس مطاوع الابئاس أي: جعل المرء بائساً: صاحب بؤس.

(٢) قيل: إنّ بنيامين قال ليوسف: لا تردني إليهم فأجابه يوسف ودبّر كيفية إبقاء أخيه معه وكلّ ذلك بتدبير الله تعالى لهم.

(٣) العير: لفظ يطلق على ما امتير عليه من الإبل والخيل والبغال، والحمير، والمراد بها هنا: الإبل.

(٤) الزعيم: الكفيل، والحميل، والضمين، والقبيل، وهي بمعنى واحد سواء، ويطلق الزعيم على الرئيس.

من هداية الآيـات :

١ـ بيان فضل العلم وأهله .

٢ـ تقرير حقيقة وهي أن أكثر الناس لا يعلمون .

٣ـ حسن تدبير يوسف للإبقاء على أخيه معه بعد ذهاب إخوته .

٤ـ مشروعية إعطاء المكافآت لمن يقوم بعمل معين وهي الجعالة في الفقه .

٥ـ مشروعية الكفالة والكفيل غارم .

قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

شـرح الكلمـات :

تالله : أي واللــه .

لنفسد في الأرض : أي بارتكاب المعاصي وغشيان الذنوب .

وما كنا سـارقين : أي لم نسرق الصواع كما أنا لم نسرق من قبل متاع أحد .

من وجد في رحله فهو جزاؤه : أي يأخذ بالسرقة رقيقاً .

كذلك نجزى الظالمين : أي في شـريعتنـا .

في وعاء أخيه : أي في وعاء أخيه الموجود في رحله.

كذلك كدنا ليوسف : أي يسرنا له هذا الكيد الذي توصل به إلى أمر محمود.

في دين الملك : أي في شرعه إذ كان يضرب السارق ويغرم بمثل ما سرق.

نرفع درجات من نشاء : أي كما رفع يوسف عليه السلام.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في الحديث عن يوسف وإخوته، إنه لما أعلن عن سرقة صواع الملك وأوقفت القافلة للتفتيش، وأعلن عن الجائزة لمن يأتي بالصواع وأنها مضمونة هنا قال إخوة يوسف ما أخبر تعالى به عنهم: ﴿قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض﴾ أي بالسرقة وغشيان الذنوب وإنما جئنا للميرة[1] ﴿وما كنا سارقين﴾[2] أي في يوم من الأيام. وهنا قال رجال الملك رداً على مقالتهم بما أخبر تعالى به: ﴿قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين﴾ فأجاب الإخوة بما أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه﴾ يريدون أن السارق يُسترق أي يملك بالسرقة وقوله ﴿كذلك نجزي الظالمين﴾ أي في شريعتنا. وهنا أخذ يوسف بنفسه يفتش أوعية إخوته بحثاً عن الصواع، وبدأ بأوعيتهم واحـداً بعد واحد وآخر وعاء وعاء أخيه بنيامين دفعاً للتهمة والتواطؤ في القضية، حتى استخـرجهـا من وعـاء أخيه الذي كان في رحله، هذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿فبدأ بأوعيتهم قبـل وعـاء أخيه ثم استخـرجها من وعاء أخيه﴾[3] وقوله تعالى: ﴿كذلك كدنا ليوسف﴾ أي هكذا يسرنا[4] له هذا الكيد الذي توصل به إلى أمر محمود غير مذموم. وقوله تعالى: ﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾ أي لم يكن في شرع مصر أن يأخذ أخاه عبداً بالسرقة بل السارق يضرب ويغرم فقط، ﴿إلا أن يشاء الله﴾ أمراً فإنه يكون. وقوله

---

(١) الميرة: الطعام الذي يدّخره الإنسان.

(٢) إذ لو كانوا سارقين ما ردّوا البضاعة التي وضعت لهم في رحالهم من أجل أن يرجعوا إلى مصر، فمن ردّ بضاعة بعد ما تمكن منها لا يكون سارقاً.

(٣) الوعاء: ما يحفظ فيه الشيء، وتُضمّ واوه وتكسر، والكسر أشهر قيل لمّا استخرج السقاية من وعاء بنيامين طأطأوا رؤوسهم حياءً، وقالوا لأخيهم بنيامين: ويلك يا بنيامين ما رأينا كاليوم قط.

(٤) قالت العلماء: يجوز للرجل أن يتصرف في ماله بالبيع والشراء والهبة والعطاء قبل حلول حول الزكاة ما لم ينو الفرار من الزكاة، فإن حال الحول فلا يصح شيء إلا بعد إخراج الزكاة.

تعالى : ﴿نرفع درجات من نشاء﴾[1] أي في العلم كما رفعنا يوسف ﴿وفوق كل ذي علم﴾[2] من الناس ﴿عليم﴾ إلى أن ينتهي العلم إلى الله تعالى فهو العليم الذى لا أعلم منه بل العلم كله له ومنه ولولاه لما علم أحد شيئاً.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ جواز الحلف بالله تعالى للحاجة.

٢ـ مشروعية دفع التهمة عن النفس البريئة.

٣ـ معرفة حكم السرقة في شرعة يعقوب عليه السلام.

٤ـ بيان حسن تدبير الله تعالى لأوليائه.

٥ـ بيان حكم السرقة في القانون المصري على عهد يوسف عليه السلام.

٦ـ علوّ مقام يوسف عليه السلام في العلم.

٧ـ تقرير قاعدة (وفوق كل ذي علم عليم) إلى أن ينتهي العلم إلى الله تعالى.

۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾

---

(١) أي: بالإيمان والعلم شاهده: ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان﴾.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما يكون ذا أعلم من ذا، وذا أعلم من ذا، والله فوق كل عليم وقرأ الجمهور: ﴿درجات من نشاء﴾ بإضافة درجات إلى مَنْ وقرأ حفص ﴿درجات﴾ بالتنوين تمييز لتعلق فعل نرفع بمفعوله وهو: ﴿من نشاء﴾.

شرح الكلمـات :

إن يسرق	: أي يأخذ الصواع خفيـة من حرزه.
فقد سرق أخ له	: أي يوسف في صبـاه.
فأسرها يوسـف	: أي أخفى هذه التهمة في نفسه.
ولم يبدها لهم	: أي لم يظهرها لهم.
أنتم شر مكاناً	: أي منزلةً ممن رميتموه بالسرقة.
بما تصـفون	: أي بحقيقة ما تصفون أي تذكرون
أباً شيخاً كبيراً	: أي يعقوب عليه السلام.
معاذ الله	: أي نعوذ بالله من أن نأخذ من لم نجد متاعنا عنده.
متاعنـا	: أي الصــواع.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في الحديث مع يوسف عليه السلام وإخوته، إنه بعد أن استخرج يوسف الصواع من متاع أخيه وتقرر ظاهراً أن بنيامين قد سرق، قال إخوته ما أخبر به تعالى عنهم في قوله: ﴿قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من أخ له من قبل﴾[1] أي إن يكن بنيامين قد سرق كما قررتم فلا عجب فقد سرق أخ له من قبل يعنون يوسف أيام صباه، كان يسرق الطعام ويعطيه للمساكين وسرق صنماً لأبي أمه فكسره حتى لا يعبده، وليس هذا من السرقة المحرمة ولا المذمومة بل هي محمودة. وقوله تعالى: ﴿فأسرها يوسف[2] في نفسه ولم يبدها لهم﴾ أي أسر يوسف قولتهم ﴿فقد سرق أخ له من قبل﴾ ولم يظهرها لهم وقال رداً لقولتهم الخاطئة: ﴿أنتم شر[3] مكاناً﴾ أي شر منزلة ممن رميتموه بالسرقة ﴿والله أعلم بما تصفون﴾ أي بحقيقة ما تذكرون. ولما سمعوا قول يوسف وكان فيه نوع من الصرامة والشدة قالوا مستعطفين يوسف مسترحمينه بما حكى الله تعالى عنهم في قوله: ﴿قالوا يا

---

(١) وجائز أن يكون قولهم: ﴿فقد سرق أخ له من قبل﴾: مجرد رد تهمة وجهت إليهم وألزموا بها فدفعوها بقولهم: فقد سرق أخ له من قبل. وهو مجرد بهتان وقـول باطل.

(٢) وجائز أن يكون: ﴿فأسرها يوسف في نفسه﴾: أي أسرّ كلمة: ﴿أنتم شرّ مكاناً﴾ أي: أخفاها فلم يتلفظ بها إحسانا إليهم ثم جهر بقوله والله اعلَمُ بما تصنعون.

(٣) شرّ: اسم تفضيل بمعنى: أشرّ، والمكان بمعنى: حالة أي: الحال التي أنتم عليها من أشر الأحوال.

أيها العزيز[1] إن له أباً شيخاً كبيراً﴾[2] أي لأخينا والداً كبير السن يعز عليه فراقه ولا يطيقه. ﴿فخذ أحدنا[3] مكانه إنا نراك من المحسنين﴾ أي واحداً منا بدلاً عنهُ ومثلك يفعل ذلك لأنه إحسان وأنت من المحسنين. فأجابهم بما أخبر تعالى به في قوله: ﴿قال معاذ الله﴾[4] أي نعوذ بالله ﴿أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذاً لظالمون﴾ أي إذا أخذنا من لم يَجْنِ ونترك من جنى أي سرق فقد كنا بذلك ظالمين وهذا مالا نرضاه ولا نوافق عليه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ مشروعية الاعتذار عن الخطأ.

٢ـ قد يضطر الحليم إلى أن يقول ما لم يكن يقوله لولا ما وُوجِهَ به من السوء.

٣ـ مشروعية الاسترحام والاستعطاف لمن احتاج الى ذلك رجاء أن يرحم ويعطف عليه.

٤ـ حرمة ترك الجاني وأخذ غيره بدلا منه إذ هذا من الظلم المحرم.

فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ

---

(١) يبدو أن لفظ العزيز لقب لكل من يلي ولاية في تلك البلاد.

(٢) هذا اسلوب الاستعطاف والاسترحام، اقتضاه موقف يوسف الحازم الصارم فنادوه بعنوان الحكم وذكروا له ضعف أبيهم وحالته النفسية إزاء ولده.

(٣) أي: خذه عبداً لتسترقه لأنه سبق أن قيل: إن شريعة يعقوب عليه السلام أنّ السارق يسترق بالسرقة.

(٤) ﴿معاذ﴾: مصدر ميمي من العوذ الذي هو مصدر عاذ يعوذ عوذاً إذا تحصّن واستجار فهو مصدرٌ قام مقام الفعل.

وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾

﴿٨١﴾

شرح الكلمات :

خلصوا نجياً	: أي اعتزلوا يناجي بعضهم بعضاً.
أخذ عليكم موثقاً	: أي عهداً وميثاقاً لتأتن به إلا أن يحاط بكم.
ومن قبل ما فرطتم	: أي ومن قبل إضاعتكم لبنْيامين فرطتم في يوسف كذلك.
فلن أبرح الأرض	: أي لن أفارق الأرض، أي أرض مصر.
وما كنا للغيب حافظين	: أي لما غاب عنا ولم نعرفه حافظين.
العير التي أقبلنا فيها	: أي أصحاب القافلة التي جئنا معها وهم قوم كنعانيون.
سولت لكم أنفسكم	: أي زينت وحسنت لكم أمراً ففعلتموه.
أن يأتيني بهم جميعا	: أي بيوسف وأخويه بنيامين وروبيل.
وتولى عنهم	: أي معرضاً عن حديثهم.
وقال يا أسفى	: أي يا حزني أحضر هذا أوان حضورك.
فهو كظيم	: أي مغموم مكروب لا يظهر كربه.

معنى الآيات :

مازال السياق في الحديث على قصة يوسف وإخوته، إنه بعد أن أخذ يوسف أخاه بالسرقة ولم يقبل استرحامهم له بأخذ غيره بدلاً عنه انحازوا ناحية يفكرون في أمرهم وهو

ما أخبر به تعالى عنه في قوله: ﴿فلما استيأسوا﴾ أي يئسوا ﴿خلصوا نجياً﴾[١] أي اعتزلوا يتناجون في قضيتهم ﴿قال كبيرهم﴾ وهو روبيل مخاطباً إياهم[٢] ﴿ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً﴾ يذكرهم بالميثاق الذي أخذه يعقوب عليهم لما طلبوا منه أن يرسل معهم بنيامين لأن عزيز مصر طلبه. ﴿ومن قبل ما فرطتم في[٣] يوسف﴾ أي وذكرهم بتفريطهم في يوسف يوم ألقوه في غيابة الجب وباعوه بعد خروجه من الجب. ومن هنا قال لهم ما أخبر تعالى به: ﴿فلن أبرح الأرض﴾ أي أرض مصر حتى يأذن لي أبي بالرجوع إليه ﴿أو يحكم الله لي﴾ بما هو خير[٤] ﴿وهو خير الحاكمين﴾.

ولما أقنعهم بتخلفه عنهم أخذ يرشدهم إلى ما يقولونه لوالدهم وهو ما أخبر تعالى به في قوله عنه: ﴿ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق[٥] وما شهدنا إلا بما علمنا﴾[٦] أي حيث رأينا الصواع يستخرج من رحل أخينا ﴿وما كنا للغيب حافظين﴾ أي ولو كنا نعلم أن أخانا يحدث له هذا الذي حدث ما أخذناه معنا. كما أننا ما شهدنا بأن السارق يؤخذ بالسرقة إلا بما علمنا منك ﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾[٧] وهي عاصمة مصر ﴿والعير التي أقبلنا فيها﴾ إذ فيها كنعانيون من جيرانك ﴿وإنا لصادقون﴾ في كل ما أخبرناك به. هذا ما أرشد به روبيل إخوته، ولما ذهبوا به واجتمعوا بأبيهم وحدثوه بما علمهم روبيل أن يقولوه فقالوه لأبيهم. رد عليهم يعقوب عليه السلام بما أخبر تعالى به عنه في قوله: ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً﴾ أي زينت لكم أنفسكم أمراً ففعلتموه ﴿فصبر جميل﴾ أي فصبري على ما أصابني صبر جميل لا جزع فيه ولا شكاية لأحد غير الله ﴿عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً﴾ أي يوسف

---

(١) لفظ نجي: يطلق على الواحد والجماعة كلفظ عدو، ويجمع على أنجية قال الشاعر:

إني إذا ما القوم كانوا أنجية   واضطرب القوم اضطراب الأدشية.

هناك أوصيني ولا توصي بيه

(٢) قيل: هو شمعون إذ كان أكبرهم في الرأي، وقيل: يهوذا وكان أعقلهم. وقيل: هولاوى وهو ابو الأنبياء.

(٣) ما: مصدرية أي: تفريطكم في يوسف، والجملة معترضة.

(٤) بأن يطلق سراح أخي فأمضي معه إلى أبينا، أو يحكم الله لي بالسيف فأحارب حتى أخلّص أخي، او أغلب فأعذر إذ قال والدي: إلاّ أن يحاط بكم.

(٥) قرأ ابن عباس والضحّاك وأبو رزين سُرّق بتشديد الراء والبناء للمجهول أي: نسب إلى السرقة ورمي بها، السرق: بفتح السين والراء: مصدر سرق والسْرق والسرقة: اسم الشيء المسروق.

(٦) في الآية دليل على مشروعيَة الشهادة بأي وجه حصل العلم بالبصر، بالسمع باللمس إذ الشهادة مرتبطة بالعلم عقلاً وشرعاً، وفي الحديث: (ألا أخبركم بخير الشهداء؟ خير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يُسألها).

(٧) المراد: أهل القرية إذ العادة أن القرية لا تنطق، ولو قال: أحدّ كلّم هنداً وهو يريد غلامها لما جاز.

وبنيامين وروبيل ﴿إنـه هو العليم﴾ بفقـري إليه وحاجتي عنده ﴿الحكيم﴾ في تدبيره لأوليائه وصالحي عباده ﴿وتولى عنهم﴾ أي أعرض عن مخاطبتهم ﴿وقال يا أسفى﴾ أي يا أسفي وشدة حزني أحضر فهذا أوان حضورك ﴿على يوسف﴾ قال تعالى مخبراً عن حاله بعد ذلك ﴿وابيضت عيناه من الحزن﴾ فغلب بياضهما على سوادهما ومعنى هذا أنه فقد الإبصـار بمـا أصـاب عينيه من البياض. ﴿فهو كظيم﴾[1] أي ممتلىء من الهم والكرب والحزن مكظوم لا يبثه لأحد ولا يشكوه لغير ربه تعالى.

هداية الآيات

من هداية الآيـات :

١ـ مشروعية المناجاة للتشاور في الأمر الهام.

٢ـ مشروعية التذكير بالالتزامات والعهود والمحافظة على ذلك.

٣ـ قد يغلب الحياء على المؤمن فيمنعه من أمور هي خير له.

٤ـ مشروعية النصح وتزويد المنصوح له بما يقوله ويعمله.

٥ـ جواز اتهام البرىء لملابسات أو تهمة سابقة.

٦ـ جواز إظهار التأسف والحزن والشكوى لله تعالى.

قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ

---

(١) الكظيم: مبالغة للكظم والكظم: الإمساك النفساني، أي: كاظم للحزن لا يظهره للناس، وكظيم: بمعنى مكظوم كمحزون.

وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾

شرح الكلمات :

تالله تفتؤا تذكر	: أي والله لا تزال تذكر يوسف.
حرضاً	: أي مشرفاً على الهلاك لطول مرضك.
أشكو بثي	: أي عظيم حزني إذ البث الذي لا يصبر عليه حتى يبث الى الغير.
فتحسسوا	: أي اطلبوا خبرهما بلطف حتى تصلوا إلى النتيجة.
من روح الله	: أي من رحمة الله
ببضاعة مزجاة	: أي بدراهم مدفوعة لا يقبلها الناس لرداءتها.
يجزي المتصدقين	: أي يثيب المتصدقين بثواب الدنيا والآخرة.

معنى الآيات :

مازال السياق فيما جرى من حديث بين يعقوب عليه السلام وبنيه أنه بعدما ذكروا له ما جرى لهم في مصر اعرض عنهم وقال يا أسفى على يوسف وأبيضت عيناه من الحزن وهو كظيم. قالوا له ما أخبر به تعالى في قوله: ﴿قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف﴾[1] أي والله لا تزال تذكر يوسف حتى تصبح حرضاً مشرفاً[2] على الموت أو تكون من الهالكين أي الميتين. أجابهم بما أخبر تعالى به عنه: ﴿قال إنما أشكو بثي﴾[3] أي همي ﴿وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ يريد أن رجاءه فى الله كبير وأن الله لا يخيب رجاءه وأن رؤيا يوسف صادقة وأن الله تعالى سيجمع شمله به ويسجد له كما رأى. ومن هنا قال لهم ما أخبر تعالى به: ﴿يا بنيّ اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه﴾[4] أي التمسوا أخبارهما

---

(١) حرف النفي مقدّر أي: تا الله لا تفتأ، ومعنى: تفتأ: لا تفتر إذ فتىء بمعنى فتر، وهذا القول إشفاق على يعقوب.

(٢) الحرض: شدة المرض المشفي بصاحبه على الهلاك، وأصل الحرض: الفساد في الجسم أو العقل، من الحزن أو العشق أو الهرم.

(٣) البث: الهم الشديد.

(٤) هذا اللفظ دال على أنه تيقن حياة يوسف وذلك إمّا بوحي إلهي أو إلهام أو هداية عقل، وإلا كيف يطلب منهم التحسس على يوسف، والتحسس: شدة التُطلب، والتعَرف وهو أعم من التجسس.

بحواسكم بالسؤال عنهما والنظر إليهما، ﴿ولا تيأسوا من روح الله﴾ أي لا تقنطوا من فرج الله ورحمته وعلل للنهي فقال: ﴿إنه لا ييأس من روح الله﴾[1] أي من فرجه ورحمته ﴿إلا القوم الكافرون﴾.

وامتثل الأبناء أمر الوالد وذهبوا إلى مصر وانتهوا إليها ونزلوا بها وأتوا الى دار العزيز ﴿فلما دخلوا عليه قالوا﴾ ما أخبر تعالى به عنهم ﴿يا أيها العزيز مسنا[2] وأهلنا الضر﴾ أي من الجدب والقحط والمجاعة ﴿وجئنا ببضاعة مزجاة﴾ أي دراهم رديئة مدفوعة لا تقبل كما تقبل الجيدة منها ﴿فأوف[3] لنا الكيل﴾ بها ﴿وتصدق علينا﴾ بقبولها على رداءتها ﴿إن الله يجزي[4] المتصدقين﴾ أي يثيبهم على إحسانهم ويجزيهم به خيراً.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ شدة الحزن تعرض صاحبها للحرض أو الموت.

٢ـ تحرم الشكوى لغير الله عز وجل.

٣ـ حرمة اليأس من الفرج عند الشدة والرحمة عند العذاب.

٤ـ جواز الشكوى إذا كان المراد بها الكشف عن الحال للاصلاح أو العلاج كأن يقول المحتاج إني جائع أو عار مثلاً وكأن يقول المريض للطبيب أشكو ألماً في بطني أو رأسي مثلاً.

٥ـ فضل الصدقة وثواب المتصدقين.

قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ

(١) الجملة تعليلية للنهي المتقدم، وهو اليأس من روح الله وهو رحمة الله وفَرَجُه.

(٢) أي: أصابهم الضرّ.

(٣) جملة تعليلية لاستدعائهم التصدق عليهم.

(٤) قال مالك: في الآية دليل على أنّ أجرة الكيال والوزان على البائع، إذ هو باع شيئاً لابد وأن يبرزه ويفصله لمن اشتراه.

عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾

شرح الكلمات :

إذ أنتم جاهلون : أي لا تعلمون ما يؤول إليه أمر يوسف.

قد منّ الله علينا : أي أنعم علينا بأن جمع بيننا بعد افتراق طويل أنتم سببه.

من يتق ويصبر : أي يتق الله فيخافه فلا يعصيه ويصبر على ما يناله من وصب ونصب.

لقد آثرك الله علينا : أي فضلك علينا بما منّ عليك من الإنعام والكمال.

لا تثريب عليكم : أي لا عتب عليكم ولا لوم.

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث مع يوسف وإخوته، إنه لما وصلوا إليه من أرض كنعان بأمر والدهم وشكوا إليه ما هم فيه من ضيق الحال إذ قالوا له: قد مسنا الضر[1] وجئنا ببضاعة[2] مزجاة، لما سمع منهم ذلك رق قلبه وارفَضَّت عيناه بالدموع وأراد أن ينهي التكتم الذي[3] كان عليه وهو إخفاء حاله عليهم فقال لهم: ﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه﴾ ذكرهم

(١) في الآية دليل على جواز الشكوى عند الضرّ بل يتعين على العبد إذا خاف على نفسه الضرر من جوع أو مرض أن يشكو ذلك لرفعه.

(٢) بضاعة مزجاة: البضاعة: القطعة من المال يقصد بها شراء شيء يقال: أبضعت الشيء واستبضعته أي: جعلته بضاعة، والمزجاة: المدفوعة التي لا تقبل من الإزجاء الذي هو السوق بدفع، ومنه قوله تعالى: ﴿يزجي سحاباً﴾ يريدون أنها بضاعة رديئة.

(٣) كأنه يقول: أنا يوسف أنا المظلوم أنا المراد قتله.

بما صنعوا به من إلقائه في الجب وبيعه عبداً وبذلك فرقوا بينه وبين والده وأخيه شقيقه وقوله: ﴿إذ أنتم جاهلون﴾ أي بما يصير إليه أمر يوسف وهنا قالوا في اندهاش وتعجب: ﴿أإنك لأنت يوسف﴾ فأجابهم قائلاً بما أخبر تعالى به عنه ﴿قال أنا يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا﴾ أي أنعم علينا فجمع بيننا على أحسن حال ثم قال: ﴿إنه من يتق ويصبر﴾ أي يتق الله يخافه فيقيم فرائضه ويتجنب نواهيه ويصبر على ذلك وعلى ما يبتليه به ﴿فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾[1] أي في طاعة ربهم والإسلام له ظاهراً وباطناً. وهنا قالوا له ما أخبر به تعالى عنهم: ﴿قالوا تالله لقد آثرك الله علينا﴾[2] أي بالعلم والعمل والفضل ﴿وإن كنا لخاطئين﴾ فيما فعلنا بك، فكان هذا توبة منهم فقال لهم: ﴿لا تثريب[3] عليكم اليوم﴾[4] أي لا عتب ولا لوم ولا ذكر لما صنعتم لأنه يؤذي ﴿يغفر[5] الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ سأل الله تعالى له ولهم المغفرة وأثنى على الله تعالى بأنه أرحم الراحمين متعرضاً لرحمته تعالى له ولإخوته. ثم سألهم عن والده فأخبروه أنه قد عمي من الحزن عليه فقال: ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً﴾[6] أي يرجع بصيرًا كما كان ﴿وأتوني بأهلكم أجمعين﴾[7] يريد أبويه والنساء والأطفال والأحفاد. وهو تحول كامل للأسرة الشريفة من أرض كنعان إلى أرض مصر تدبيراً من الله العزيز الحكيم.

هداية الآيات

---

(١) الجملة تعليلية، والمعلل لهُ محذوف هو جواب الشرط تقديره: ينعم الله تعالى عليه وينصره ويكرمه، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين.

(٢) آثره بكذا: إذا فضّله به، والمصدر: الإيثار، واسم الفاعل مؤثِر.

(٣) التثريب: التوبيخ، والتقريع، واللوم، وفي الحديث الصحيح: (إذا زنت أمَة أحدكم فليجلدها الحدّ ولا يثرِّب عليها) اي: لا يعيِّرها. قال الشاعر:

فعفوت عنهم غير مثرِّب وتركتهم لعقاب يوم سرمد

(٤) لا يصحّ تعليق اليوم بيغفر الله إذ لا يعلم الغفران متى يتم لهم فكيف يصح أن يقال: يغفر الله لكم اليوم أو غدا؟ بل يتعلق اليوم بكلمة لا تثريب.

(٥) قال عطاء الخرساني: طلب الحوائج من الشباب أسهل منها من الشيوخ ألم ترَ إلى قول يوسف: يغفر الله لكم. وقال يعقوب: سوف استغفر لكم ربي.

(٦) لا شك أنّ هذا العلم حصل ليوسف بوحي من الله تعالى، ولعل يوسف نبيء ساعتئذ وأراد يوسف بإلقاء القميص على وجه أبيه المفاجأة السارة لتكون سبباً في رجوع البصر.

(٧) قال مسروق: كانوا ثلاثة وتسعين نسمة ما بين رجل وامرأة.

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير مبدأ أن المعاصي لن تكون إلا نتيجة للجهل بالله تعالى وجلاله وشرائعه ووعده ووعيده .

٢ـ فضل التقوى والصبر وما لهما من حسن العاقبة .

٣ـ فضل الصفح والعفو وترك عتاب القريب إذا أساء .

وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾

شـرح الكلمـات :

ولما فصلت العير	: أي خرجت من عريش مصر متوجهة إلى أرض فلسطين.
أني لأجد ريح يوسف	: أشتمها لأن الريح حملتها إليه بأمر الله تعالى.
لولا أن تفندّون	: أي تسفهون، لصدقتموني فإني وجدت ريح يوسف.
إنك لفي ضلالك القديم	: أي خطإك بإفراطك في حب يوسف.
فلما أن جاء البشير[1]	: هو يهودَا الذي حمل إليه القميص الملطخ بالدم الكذب.
فارتـد بصيـراً	: أي رجـع بصيراً.
سوف استغفر لكم ربي	: أجّلَ الاستغفار لهم إلى آخر الليل أو إلى ليلة الجمعة.
على العـرش	: أي السـرير.
وخروا له سجداً	: أي سجـدوا له تحية وتعظيماً.
من البـدو	: أي البادية، بادية الشام.
من بعد أن نزغ	: أي أفسـد.
لطيف لما يشاء	: أي لطيف في تدبيره لمن يشاء من عباده كما لطف بيوسف.

معنى الآيـات :

هذه أواخر قصة يوسف عليه السلام، إنه بعد أن بعث بقميصه إلى والده وحمله أخوه يهودا ضمن القافلة المتجهة إلى أرض كنعان، ولما فصلت[2] العير من عريش مصر حملت ريح الصبـا ريح يوسف إلى إبيه قال: ﴿إني لأجـد ريح يوسف[3] لولا أن تفندون﴾ أي تسفهون لصدقتموني[4] فإني أجدها فقال الحاضرون مجلسه من أفراد الأسرة والذين لم يعلموا بخبر يوسف بمصر قالوا له: ﴿إنك لفي ضلالك القديم[5]﴾ أي من خطإك بإفراطك

---

(١) أن : مزيدة.

(٢) فصلت: بمعنى: انفصلت، وبانت وبعدت من المكان الذي كانت فيه كقوله تعالى ﴿فلما فصل طالوت بجنوده﴾.

(٣) الريح : الرائحة، وهي ما يعبق من طيب تدركه حاسّة الشمّ.

(٤) لصدّقتموني: جواب لولا، وهو يخاطب أحفاده أي: أولاد أولاده، والتفنيد النسبة إلى الفَند محرّك الفاء والنون وهو اختلال العقل من الهرم ونحوه قال الشاعر:

يا عاذليَّ دعا الملام وأقصرا   طال الهوى وأطلتما التفنيدا

(٥) أي: لفي ذهاب عن طريق الحق والصواب، والقائلون ليعقوب هذا هم أحفاده أو بعض الأقارب لجهلهم بمقام يعقوب، وهي عبارة فيها خشونة لكن من الجائز أن تكون في عرفهم لا خشونة فيها ولا إساءة أدب.

في حب يوسف. وواصلت العير سيرهـا وبعد أيام وصلت وجاء يهودا يحمل القميص فألقـاه على وجـه يعقـوب فارتد بصيراً كما أخبر يوسف إخوته بمصر. وهنا واجه أبناءه بالخـطاب الـذى أخبـر تعالى به في قوله: ﴿قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله مالا تعلمون﴾ أي أعلم من لطف الله وحسن تدبيره ورحمته وإفضاله مالا تعلمون. وهنا طلبوا من والـدهم أن يعفو عنهم ويستغفر لهم ربهم فقالوا ما أخبر تعالى به: ﴿قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين، قال سوف استغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم﴾. اجَلَ لهم طلب المغفرة إلى ساعة الاستجابة كآخر الليل وقت السحر أو يوم الجمعة. وتنفيذاً لأمر يوسف إخوته بأن يأتوه بأهلهم أجمعين تحملت الأسرة بسائر أفرادها مهاجرين إلى مصر. وكان يوسف وملك مصر وألوف من رجال الدولة وأعيان البلاد في استقبالهم، وكـان يوسف قد ضربت له خيمـة أو فسـطاط، ووصلت المهاجرة إلى مشارف الديار المصرية وكان يوسف في فسطاطه ﴿فلما دخلوا عليه آوى إليه أبويه﴾ أي ضمّهما إلى موكبه ﴿وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين﴾ ولما انتهوا إلى القصر ودخلوا ﴿ورفع﴾ يوسف ﴿أبويه﴾ أمه وأباه ﴿على العرش﴾ سرير الملك ﴿وخروا له سجداً﴾ تحية وتشريفاً.[1] وهنا قال يوسف ﴿يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً﴾ إذ رأى في صباه أن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رآهم له ساجدين. وقوله ﴿وقد أحسن بي إذ أخرجني[2] من السجن وجاء بكم من البدو[3] من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي﴾ هذا ثناء على الله بنعمه وتذكير للحاضرين بالحادثة والطاف الله تعالى فيها. ومن كرم نفس يوسف وسمو آدابـه لم يقـل قد أحسن بي إذ أخـرجني من الجب فيذكرهم بما يؤلمهم بل قال من السجن. ويعني بقوله وجاء بكم من البدو أي من أرض كنعان. ونسب الإساءة التي كانت من إخـوتـه إلى الشيطان تلطيفاً للجو ومبالغة في إذهاب الهم من نفس إخوته، وختم حديث النعمـة في أعـظم فرحة ﴿إن ربي[4] لطيف لما يشاء انه هو العليم﴾ أي بخلقه

---

(١) على عادة أهل ذلك الزمان، وهو سجود تحية لا عبادة.

(٢) أحسن بي وإليّ بمعنى واحد أي قدم أي صنع إليّ معروفاً. بجلب خير أو دفع ضير.

(٣) أي: البادية، والبدو ضدّ الحضر، والاسم مشتق من البُدوّ الذي هو الظهور والنزغ عبارة عن ادخال الفساد في النفس، شبه بنزغ الراكب الدابة وهو يريدها تسرع.

(٤) اللطف: التدبير الملائم، واللطيف: صاحب اللّطف.

﴿الحكيم﴾ في تدبيره وصنعه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ آية عظيمة هي حمل الريح ريح[1] يوسف على مسافات بعيدة.

٢ـ آية أخرى هي ارتداد بصر يعقوب بعد العمى بمجرد أن أُلقِيَ القميص على وجهه.

٣ـ كرم يعقوب وحسن عفوه وصفحه على أولاده إذ استغفر لهم ربهم فغفر لهم.

٤ـ مشروعية الخروج خارج المدينة لاستقبال أهل الكمال والفضل كالحجاج مثلا.

٥ـ صدق رؤيا يوسف عليه السلام إذ تمت حرفياً فجلس يوسف على عرشه وخر له أبواه وإخوته ساجدين.

٦ـ قد يتأخر تأويل الرؤيا عشرات السنين إذ تأخرت رؤيا يوسف أربعين سنة.

٧ـ تجليات الألطاف الإلهية والرحمات الربانية في هذه القصة في مظاهر عجيبة.

۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾

شـرح الكلمـات :

رب : أي يا رب خالقي ورازقي ومالك أمري ومعبودي الذي ليس لي معبود سواه.

من الملك : أي من بعض الملك إذ أصبح ملكاً لمصر فقط.

تأويل الأحاديث : تعبير الرؤا.

فاطر السموات والأرض : أي خالقهما على غير مثال سابق.

أنـت ولـيّ : أي متولي أمري في الحياتين الدنيا والآخرة.

---

(١) أي: رائحته.

معنى الآية الكريمة :

هذا آخر الحديث عن قصة يوسف، إنه بعد أن جمع الله تعالى شمله بكافة أفراد أسرته وفتح عليه من خزائن رحمته ما فتح، وانقلبت الإحراقات: إحراقات الإلقاء في الجب، والبيع رقيقاً بثمن بخس، وفتنة امرأة العزيز، والسجن سبع سنين؛ انقلبت إلى اشراقات ملكاًودولة،عزاً ورفعة،مالاً وثراء، اجتماعاًووئاماً،وفوق ذلك العلم اللدنى والوحي الإلهي وتأويل الأحاديث. وبعد أن قبض الله تعالى والده وتاب على إخوته وهيأهم للنبوة ونبأهم. تاقت نفس يوسف إلى الملكوت الأعلى إلى الجيرة الصالحة إلى رفقة الأخيار آبائه الأطهار ابراهيم وإسحق ويعقوب رفع يديه إلى ربه وقال: ﴿رب قد آتيتني من[1] الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليّ في الدنيا والآخرة توفني[2] مسلماً وألحقني بالصالحين﴾واستجاب الله تعالى دعاءه فلم يلبث إلا قليلاً حتى وافاه الأجل فارتحل والتحق بأبائه وصالحي إخوانه فسلام عليه وعليهم وعلى كل صالح في الأرض والسماء، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

هداية الآية

من هداية الآية :

١ـ مشروعية دعاء الله تعالى والتوسل إليه بأسمائه وصفاته.

٢ـ مشروعية العزوف عن الدنيا والرغبة عنها عند حصولها والتمكن منها.

٣ـ فضل الشوق إلى الله والحنين إلى رفقة الصالحين في الملكوت الأعلى.

٤ـ مشروعية سؤال الموت إن لم يكن لضر أو ملل من العبادة، أو رغبة في الراحة لحديث «لا يسألن أحدكم[3] الموت لضر نزل به» وهو صحيح. ولكن شوقاً إلى الله تعالى والالتحاق بالصالحين،[4] عزوفاً عن هذه الدار وشوقاً إلى الأخرى دار السلام.

---

(١) من: للتبعيض، إذ ملك مصر محدود، ولم يملك يوسف على غيره، ومن في قوله: ﴿من تأويل الأحاديث﴾ للجنس أولى مما تكون للتبعيض.

(٢) قال قتادة: لم يتمن الموت أحد نبي ولا غيره إلاّ يوسف عليه السلام حين تكاملت عليه النعم، وجمع له الشمل اشتياقاً إلى لقاء ربه عز وجل، وردّ الجمهور هذا وقالوا: إنّما تمنى الموت على الإسلام وما ذكرته في التفسير أرجح وأوضح.

(٣) في الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يتمنينّ أحدكم الموت لضر نزل به فإن كان لابد متمنياً فليقل: اللهم احيني ما كانت الحياة خير لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي) رواه مسلم.

(٤) قيل: كان عمره يوم مات: مائة عام وسبع سنين، وخلف من الولد ثلاثة: افرائيم ، ومنشا، ورحمة.

ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾

شرح الكلمات :

ذلك : اشارة إلى ما قص تعالى على رسوله من قصة يوسف وإخوته.

من أنباء الغيب : أي أخبار الغيب.

وما كنت لديهم : أي لدى إخوة يوسف.

إذ أجمعوا أمرهم : أي اتفقوا على إلقاء يوسف في غيابة الجب.

وهم يمكرون : أي يحتالون على إخراجه وإلقائه في الجب.

عليه من أجر : أي على القرآن وإبلاغه من ثواب أي مال.

إن هو إلا ذِكْرٌ : أي ما هو إلا ذكر أي موعظة يتعظ بها المؤمنون.

معنى الآيات :

بعد ما قص تعالى على رسوله بواسطة الوحي قصة يوسف وإخوته وهي من الغيب المحض إذ لم يكن رسول الله ﷺ ولا قومه من العرب يعرفون عن هذه الأحداث التاريخية شيئاً، لا سيما وأن بعض هذه الأنباء تم في ظلام الليل وبعضها فى ظلام البئر وبعضها وراء الستور، وبعضها فى طبقات السجون وبعضها في قصور الملوك وبعضها في الحضر وبعضها في البدو، وبعد تطاول الزمن وتقادم العصور. بعد أن قص ما قص قال لرسوله

محمد ﷺ : ﴿ذلك من أنباء الغيب﴾[1] أي من أخبار الغيب ﴿نوحيه إليك﴾ أي نعلمك به بطريق الوحي ﴿وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾ ويؤكد وحيه إليه بذلك فيقول، وما كنت لدى إخوة يوسف في الوقت الذي أجمعوا فيه أمرهم على التخلص من يوسف بأي ثمن وهم يحتالون على إخراجه من بين يدي أبويه ليلقوه في غيابة الجب تخلصاً منه حيث رأوا أنه حجب عنهم وجه أبيهم وذهب بعطفه وحنانه دونهم. وقوله تعالى: ﴿وماأكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾[2] يخبره تعالى أن الإيمان بك وبما جئت به من الوحي والتوحيد والبعث الآخر مثل هذا القصص كافٍ في التدليل على صحة نبوتك وعلى وجوب الإيمان بما جئت به وتدعو إليه ومع هذا فأكثر الناس ولو حرصت على إيمانهم ما هم بمؤمنين، ولذلك عوامل من أبرزها أن الإيمان يتعارض مع ما ألفوا من الباطل والشر والفساد، لا سيما شهواتهم وأغراضهم الدنيوية ومن قبل ذلك أن من كتب الله شقاءه لا يؤمن بحال، ولذا فلا تحزن ولا تكرب، وقوله تعالى: ﴿وما تسألهم عليه من أجر﴾[3] أي على هذا القرآن وإبلاغه إليهم من مال إذ لو كنت سائلهم أجراً على قراءتك عليهم وإبلاغك لهم لكان ذلك مانعاً من قبول ما تدعوهم إليه، ولكن ما دام ذلك يقدم لهم مجاناً فلا معنى لعدم إيمانهم إلا ما كتب الله من خسرانهم فهم عاملون للوصول إليه.

وقوله تعالى: ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ أي ما هذا القرآن وما يحمله من هدى ونور وقراءتك له إلا ذكرى أي موعظة يتعظ بها من يسمعها من أهل البصيرة والإيمان من العالمين ممن هيأهم الله تعالى للسعادة والكمال، وقوله تعالى: ﴿وكأين من آية في[4] السموات والأرض﴾ أي وكثير من الآيات الدالة على الله وعلى وجوب عبادته وتوحيده فيها

---

(١) هذا الكلام تذييل للقصة بعد انتهائها. إتماماً للفائدة منها، والغيب ما غاب عن علم الناس، وأصل الغيب مصدر غاب يغيب غيباً، فسمي به الشيء الغائب

(٢) في الآية تسلية للرسول ﷺ إذا آلمه عدم إيمان قريش بعد أن سألوه عن هذه القصة ليؤمنوا فلمّا قصها عليهم لم يؤمنوا فآلمه ذلك.

(٣)(من) صلة لتقوية النفي.

(٤) أصل: كأيّن: أي. فدخلت عليها كاف التشبيه، وبنيت معها فصار معناها (كم) قال القرطبي: قد يقع في هذا القول والذي قبله كثير من عوام الناس، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

في السموات كالشمس والقمر والكواكب والسحب والأمطار، والأرض كالجبال والأنهار والأشجار والمخلوقات المختلفة يمرون عليها صباح مساء وهم معرضون غير ملتفتين إليها ولا متفكرين فيها فلذا هم لا يؤمنون ولا يهتدون. وقوله تعالى في الآية الأخيرة (١٠٦) ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾[1] يخبر تعالى رسوله أن من يدعوهم إلى الإيمان به وبما جاء به ما يؤمن أكثرهم بالله رباً خالقاً رازقاً إلا وهم مشركون به أصناماً وأوثاناً يعبدونها وهي حقيقة قائمة لو سئل يهودي أو نصراني عن الخالق الرازق المحيي المميت المدبر للكون لقال الله، ولكن هو به مشرك يعبد معه غيره وكذلك حال المشركين الذين أخبر تعالى عنهم، وكثير من أهل الجهل فى هذه الأمة القرآنية يدعون غير الله ويذبحون لغير الله وينذرون لغير الله وهم مؤمنون بالله وبما جاء به رسوله من التوحيد والبعث والجزاء والشرع.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير النبوة المحمدية بأصدق برهان وأعظم حجة.

٢ـ بيان حكم الله في الناس وهو أن أكثرهم لا يؤمنون فلا يحزن الداعي ولا يكرب.

٣ـ دعوة الله ينبغي أن تقدم إلى الناس مجّاناً، وأجر الداعي على الله تعالى الذي يدعو إليه.

٤ـ ذم الغفلة وعدم التفكر في الآيات الكونية.

٥ـ بيان حقيقة ثابتة وهي أن غير أهل التوحيد وإن آمنوا بالله رباً خالقاً رازقاً مدبراً أكثرهم يشركون به غيره في بعض صفاته وعباداته.

أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَـٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَـٰذِهِۦ

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في تلبية المشركين: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك.

سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠٩﴾

شـرح الكلـمات :

غاشية من عذاب الله : أي نقمة من نقمه تعالى تغشاهم[1] أي تحوط بهم.

بغتـــة : فجأة وهم مقيمون على شركهم وكفرهم.

هذه سبيلي : أي دعوتي وطريقتي التي أنا عليها.

على بصيـرة : أي على علم يقين مني.

وسبحان الله : أي تنزيهاً لله وتقديساً أن يكون له شريك في ملكه أو معبود سواه.

من أهل القرى : من أهل المدن والأمصار لا من أهل البوادي.

للذين اتقوا : أي الله تعالى بأداء فرائضه وترك نواهيه.

أفلا تعقلـون : أي أفلا يعقل هؤلاء المشركون هذا الذي يتلى عليهم ويبين لهم فيؤمنوا ويوحدوا.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في الدعوة إلى الإيمان بالوحي الإلهي والتوحيد والبعث والجزاء وهي أركان الدين العظمى، فقال تعالى: أفأمن هؤلاء المشركون والذين لا يؤمن ﴿أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ والذين يمرون بالكثير من آيات الله وهم معرضون، أفأمن هؤلاء ﴿أن تأتيهم غاشية من عذاب الله﴾ أي عقوبة من عذاب تغشاهم وتجللهم بالعذاب الذي لا

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: مجلّلة، وهو معنى تغطيهم، وتحوط بهم من كل جوانبهم بحيث لا ينجون منها.

يطاق ﴿أو تأتيهم الساعة﴾ أي القيامة ﴿بغتة﴾[1] أي فجأة ﴿وهم لا يشعرون﴾ بوقت مجيئها فتعظم البلية وتشتد عليهم الرزية، وكيف يأمنون وهل يوجد من يؤمنهم غير الله تعالى فما لهم إذاً لا يؤمنون ولا يتقون حتى ينجوا مما يتوقع لهم؟ هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٠٧) أما الثانية فقد أمر الله تعالى رسوله أن يواصل دعوته دعوة الخير هو والمؤمنون معه فقال: ﴿قل هذه سبيلي﴾ أي قل أيها الرسول للناس هذه طريقتي في دعوتي إلى ربي بأن يؤمن به ويعبد وحده دون سواه. ﴿أدعو إلى الله على بصيرة﴾[2] أي على علم يقين بمن أدعو إليه وبما أدعو به وبالنتائج المترتبة على هذه الدعوة، ﴿أنا ومن اتبعني﴾ من المؤمنين كلنا ندعو إلى الله على بصيرة.

وقوله تعالى: ﴿وسبحان الله﴾ أي وقل سبحان الله أي تنزيهاً له عن أن يكون له شريك أو ولد، وقل كذلك معلناً براءتك من الشرك والمشركين ﴿وما أنا من المشركين﴾. هذا ما دلت عليه الآية الثانية. أما الآية الثالثة فإن الله تعالى يخبر رسوله بأنه ما أرسل من قبله من الرسل وهم كثر إلا رجالاً أي لا نساء ولا ملائكة ﴿نوحي إليهم من أهل القرى﴾[3] أي الأمصار والمدن، وهذا إبطال لإنكارهم أن يكون الرسول رجلاً من الناس، وقوله تعالى: ﴿أفلم يسيروا﴾ أي هؤلاء المكذبون من قريش وغيرهم ﴿في الأرض﴾ للاعتبار ﴿فينظروا﴾[4] كيف كان عاقبة من سبقهم من الأمم كعاد وثمود فإنا أهلكناهم ونجينا أهل الإيمان والتوحيد من بينهم مع رسلهم هذه النجاة ثمرة من ثمرات الإيمان والتقوى، ﴿ولدار الآخرة خير[5] للذين اتقوا﴾ فإنها دار النعيم المقيم والسلامة من الآهات والعاهات والكبر والهرم والموت والفناء.

وقوله تعالى في نهاية الآية ﴿أفلا تعقلون﴾[6] يوبخ أولئك المشركين المصرين على

---

(١) ﴿فينظروا﴾ إلى مصارع الأمم المكذبة لأنبيائهم وما جاءوهم به من الهدى ودين الحق من أجل هدايتهم، وسعادتهم.

(٢) ﴿ولدار الآخرة خير﴾ مبتدأ وخبر، وهل الإضافة هنا كما هي في يوم الخميس وبارحة الأولى؟ خلاف ويُرجح أحد الرأيين فقولُ الشاعر:

ولو أقوت عليك ديار عبس   عرفت الذل عرفان اليقين

أي: عرفاناً يقينيا. قال النحاس: إضافة الشيء إلى نفسه محال، لأنّ الشيء يضاف إلى غيره ليعرّف به الأجود أن يقال: الصلاة الأولى.

(٣) قرىء: ﴿أفلا يعقلون﴾: بالياء والتاء في السبع.

(٤) منصوب على الحال، ومعناه إصابة من غير توقع ﴿وهم لا يشعرون﴾: توكيد لمعنى بغتة. هذا كقوله تعالى ﴿تأخذهم وهم يخصمون﴾.

(٥) أي: على يقين وحق كقولهم: فلان مستبصر بهذا الأمر.

(٦) قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالاً نوحي إليهم﴾ ردّ على القائلين ﴿لولا أنزل عليه ملك﴾.

التكذيب والشرك على عدم تعقلهم وتفهمهم لما يتلى عليهم وما يسمعون من الآيات القرآنية وما يشاهدون من الآيات الكونية.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- التحذير من العقوبات المترتبة على الشرك والمعاصي.

٢- تقرير عقيدة البعث الآخر.

٣- تعين الدعوة إلى الله تعالى على كل مؤمن تابع للرسول صلى الله عليه وسلم.

٤- تعين العلم اليقيني للداعي إلى الله إذ هو البصيرة المذكورة في الآية.

٥- وجوب توحيد الله تعالى في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته.

٦- الرسالة من خصوصيات الرجال وليس في النساء رسولة.[1]

٧- بيان ثمرات التوحيد والتقوى في الدنيا والآخرة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾

شرح الكلمات :

استيأس الرسل : أي يئسوا من إيمان قومهم.

وظنوا أنهم قد كذبوا : أي ظن الأمم المرسل إليهم أن الرسل قد أخلفوا ما وعدوا به

(١) حديث: (إن في النساء أربع نبيّات حواء وآسية وأم موسى ومريم) حديث ضعيف لا يصح، وهو معارض لهذه الآية وآيات أخرى.

من النصر.

ولا يرد بأسنا : أي عذابنا الشديد.

عن القوم المجرمين : أي الذين أجرموا على أنفسهم بالشرك والمعاصي وأجرموا على غيرهم بصرفهم عن الإيمان.

لقد كان في قصصهم : أي الرسل عليهم السلام.

ما كان حديثاً يفترى : أي ما كان هذا القرآن حديثاً يختلق.

تصديق الذي بين يديه : أي ما قبله من الكتب الإلهية إذ نزل مصدقاً لها في الإيمان والتوحيد.

معنى الآيتين

ما زال السياق في الدعوة إلى الإيمان والتوحيد بقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا﴾ أي ما زال مَنْ أرسلنا من رسلنا يدعون إلينا ويواصلون دعوتهم ويتأخر نصرهم حتى يدب اليأس إلى قلوبهم[1] ويظن أتباعهم أنهم قد أخلفوا ما وعدوا به من نصرهم وإهلاك أعدائهم ﴿جاءهم﴾ بعد وجود اليأس نصرنا[2] ﴿فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾. هذا ما جاء في الآية الأولى ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فننجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾ وهم أهل الشرك والمعاصي.

وقوله تعالى: ﴿لقد كان في قصصهم[3] عبرة لأولي الألباب﴾ أي كان في قصص الرسل مع أممهم بذكر أخبارهم وتبيان أحوالهم من نجاة المؤمنين وهلاك الكافرين المكذبين عبرة يعتبر[4] بهـا المؤمنون فيثبتون على إيمانهم ويواصلون تقواهم لربهم بأداء فرائضه واجتناب نواهيه.

وأولوا الألباب هم أصحاب العقول، وقوله تعالى: ﴿ما كان حديثاً يفترى﴾ أي لم يكن هذا القرآن العظيم بالحديث الذي في إمكان الإنسان أن يكذب ويختلق مثله بحال من

---

(١) أي: من إيمان قومهم، لأنّ الله تعالى لم يعلمهم أنّ قومهم سيؤمنون حتى لا يصح منه ظن عدم إيمانهم.

(٢) المراد بالنصر: العذاب، فلما جاء العذاب بعد طول انتظار نجى الله تعالى رسله والمؤمنين، وأهلك أعداءه وأعداءهم الكافرين.

(٣) يدخل أوّلا قصة يوسف، وإخوته ثم باقي القصص.

(٤) فكرة وتذكرة وعظة.

الأحوال ولكنه أي القرآن هو ﴿تصديق الذي بين يديه﴾ أي تقدم في النزول عليه كالتوراة والإنجيل فهو مصدق لهما في أصول الإيمان والتوحيد ولا يتنافى معهما وهذا أكبر دليل على أنه وحي إلهي مثلهما، وليس بالكلام المختلق كما يقول المبطلون، وقوله تعالى: ﴿وتفصيل[1] كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ أي كما هو مصدق لما بين يديه هو أيضاً يفصل كل شيء تحتاج إليه البشرية في دينها المزكي لأنفسها الموجب لها رحمة ربها ورضاه عنها وهدى ينير الطريق فيهدي من الضلالة ورحمة تنال المؤمنين به العاملين به المطبقين لشرائعه وأحكامه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١- بيان سنة الله تعـالى في تأخر النصر على رسله وعباده المؤمنين زيادة في الإعداد والتمحيص ثم يأتي نصر الله فيعز أولياء الله ويذل أعداءه.

٢- التنديد بالإجرام وهو الإفساد للعقائد والأخلاق والشرائع والأحكام.

٣- بيان فضل القرآن وما فيه من الهدى والرحمة لمن طلب ذلك منه.

٤- المؤمنون باعتبار أنهم أحياء هم الذين ينتفعون بهداية القرآن ورحمته.

---

(١) أي: مما يحتاج إليه البشر من الحلال والحرام، والشرائع والأحكام.

سُورَةُ الرَّعْدِ

مكيـــة

وآياتها ثلاث وأربعون آيـة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

شرح الكلمات :

الٓمٓر : هذه الحروف المقطعة تكتب الٓمٓر وتُقرأ ألف لاَمْ مِيمْ رَا. والله أعلم بمراده بها.

بغير عمد ترونها : العمد جمع عمود أي مرئية لكم إذ الجملة نعت.

ثم استوى على العرش[1] : استواء يليق به عز وجل.

وسخر الشمس والقمر : أي ذللّها بمواصلة دورانها لبقاء الحياة إلى أجلها.

هو الذي مد الأرض : أي بسطها للحياة فوقها.

رواســـــي : أي جبال ثوابت.

زوجين اثنين : أي نوعين وضربين كالحلو والحامض والأصفر والأسود مثلا.

يغشي الليل النهار : أي يغطيه حتى لا يبقى له وجود بالضياء.

لآيـــات : أي دلالات على وحدانية الله تعالى.

قطع متجـاورات : أي بقاع متلاصقات.

ونخيـل صـنوان : أي عدة نخـلات في أصل واحد يجمعها، والصنو الواحد والجمع صنوان.

في الأكـــل : أي في الطعم هذا حلو وهذا مرّ وهذا حامض، وهذا لذيذ وهذا خلافه.

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿آلمرَ﴾ الله أعلم بمراده به. وقوله ﴿تلك آيات الكتاب﴾ الإشارة إلى ما جاء من قصص سورة يوسف، فالمراد بالكتاب التوراة والإنجيل فمن جملة آياتها ما قص الله تعـالى على رسـولـه. وقـولـه: ﴿والذي[2] أنزل إليك من ربك﴾[3] وهو القرآن العظيم ﴿الحق﴾ أي هو الحق الثابت. وقوله ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ أي مع أن الذي أنزل إليك من ربك هو الحق فإن أكثر الناس من قومك وغيرهم لا يؤمنون بأنه وحي الله وتنزيله فيعملوا به فيكملوا ويسعدوا. وقوله تعالى: ﴿الله الذى رفع السموات والأرض بغير عمد[4]

---

(١) عقيدة السلف في هذه الصفة: وجوب الإيمان بها وإمرارها كما ذكرها تعالى بلا تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل، وكذا سائر صفاته عزّ وجلّ.

(٢) يصح أن تكون الواو عاطفة صفة على أخرى، أي: عطفت الذي على الكتاب فالموصول في محل جرّ نعت للكتاب، وهو نظير قول الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

ويكون المعنى: تلك آيات الكتاب الذي أنزل إليك من ربك والحق: مرفوع على أنه خبر لمبتأ محذوف تقديره: هو الحق. وما في التفسر واضح قال به مجاهد وقتاده.

(٣) قال مقاتل: نزلت هذه الآية رداً على المشركين القائلين: إنّ محمداً ﷺ يأتي بالقرآن من تلقاء نفسه.

(٤) في الآيات استدلال بقدرة الله وعلمه وحكمته على أن القرآن الكريم وحيه أوحاه إلى رسوله وتنزيله أنزله عليه ليس كما يدّعي المشركون

ترونها﴾ : أي أن إلهكم الحق الذي يجب أن تؤمنوا به وتعبدوه وتوحدوه الله الذى رفع السموات على الأرض بغير عمد مرئية لكم ولكن رفعها بقدرته وبما شاء من سنن. وقوله : ﴿ثم استوى على العرش﴾ أي خلق السموات والأرض ثم استوى على عرشه استواء يليق بذاته وجلاله يدبر أمر الملكوت وقوله : ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ أي ذللهما بعد خلقهما يسيران في فلكهما سيراً منتظماً إلى نهاية الحياة، وقوله ﴿كل يجري﴾ أي في فلكه فالشمس تقطع فلكها في سنة كاملة والقمر في شهر كامل وهما يجريان هكذا إلى نهاية الحياة الدنيا فيخسف القمر وتنكدر الشمس وقوله : ﴿يدبر الأمر﴾ أي يقضي ما يشاء في السموات والأرض ويدبر أمر مخلوقاته بالإماتة والاحياء والمنع والإعطاء كيف يشاء وحده لا شريك له في ذلك. وقوله: ﴿يفصل الآيات﴾ أي القرآنية بذكر القصص وضرب الأمثال وبيان الحلال والحرام كل ذلك ليهيئكم ويعدكم للإيمان بلقاء ربكم فتؤمنوا به وتعبدوا الله وتوحدوه في عبادته فتكملوا في أرواحكم وأخلاقكم وتسعدوا في دنياكم وآخرتكم. وقوله تعالى : ﴿وهو الذي مد الأرض﴾[1] اي بسطها ﴿وجعل فيها رواسي﴾ أي جبالاً ثوابت ﴿وأنهاراً﴾ أي وأجرى فيها أنهاراً ﴿ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين﴾ أي نوعين وضربين فالرمان منه الحلو ومنه الحامض والزيتون منه الأصفر والأسود، والتين منه الأبيض والأحمر وقوله : ﴿يغشى الليل النهار﴾ أي يغطي سبحانه وتعالى النهار بالليل لفائدتكم لتناموا وتستريح أبدانكم من عناء النهار. وقوله: ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور في هذه الآية الكريمة من مد الأرض وجعل الرواسي فيها واجراء الأنهار، وخلق أنواع الثمار واغشاء الليل النهار، في كل هذا المذكور ﴿لآيات﴾ أي علامات ودلائل واضحات على وجود الله تعالى وعلمه وقدرته وحكمته وعلى وجوب عبادته وتوحيده وعلى الإيمان بوعده ووعيده، ولقائه وما أعد من نعيم لأوليائه وعذاب لأعدائه، وقوله تعالى : ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾[2] أي بقاع من الأرض بعضها إلى جنب بعض متلاحقات هذه تربتها طيبة وهذه تربتها خبيثة ملح سبخة وفي الأرض أيضاً جنات أي بساتين من

---

(١) لمّا ذكر تعالى آياته الكونية في السماء ذكر آياته الكونية في الأرض استدلالا بها على قدرته وعلمه وحكمته الموجبة لتوحيده وعبادته دون سواه.

(٢) أي : وأخرى غير متجاورات فحذفت على حدّ قوله : ﴿سرابيل تقيكم الحرّ﴾ حيث حذف المقابل وهو: تقيكم البرد.

أعناب وفيها زرع ونخيل ﴿صنوان﴾[1] النخلتان والثلاث في أصل واحد، ﴿ وغير صنوان﴾ كل نخلة قائمة على أصلها، وقوله: ﴿تسقى﴾ أي تلك الأعناب والزروع والنخيل ﴿بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾[2] وهو ما يؤكل منها فهذا حلو وهذا حامض وهذا لذيذ وهذا سمج، وقوله: ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور من القطع المتجاورات مع اختلاف الطيب وعدمه وجنات الأعناب والنخيل وسقيها بماء واحد واختلاف طعومها وروائحها وفوائدها ﴿لآيات﴾[3] علامات ودلائل باهرات على وجوب الإيمان بالله وتوحيده ولقائه، ولكن ﴿لقوم يعقلون﴾ أما الذين فقدوا عقولهم لاستيلاء المادة عليها واستحكام الشهوة فيها فإنهم لا يدركون ولا يفهمون شيئاً فكيف إذاً يرون دلائل وجود الله وعلمه وقدرته وحكمته فيؤمنون به ويعبدونه ويتقربون إليه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١- تقرير عقيدة الوحي الإلهي ونبوة محمد ﷺ.

٢- تقرير عقيدة التوحيد وأنه لا إله إلا الله.

٣- تقرير عقيدة البعث الآخر والجزاء على الكسب في الدنيا.

٤- فضيلة التفكر في الآيات الكونية.

٥- فضيلة العقل للاهتداء به إلى معرفة الحق واتباعه للإسعاد والإكمال.

۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ

---

(١) الصنو: المثل، ومنه الحديث: (عمّ الرجل صنو أبيه) ولا فرق بين التثنية والجمع في: (صنوان) إلاّ بكسر نونَ المثنى، وتنوين نون الجمع، فتقول: هذان صنوان وهؤلاء صنوان.

(٢) كالدقل والحلو والحامض، وبنو آدم كذلك الأصل واحد والخلاف قائم هذا مؤمن وهذا كافر، هذا صالح وهذا فاسد، كما قال الشاعر:

الناس كالنبت والنبت ألوان   منها شجر الصندل والكافور والبان

ومنها شجر ينضح طول الدهر قطران

(٣) في هذه الآيات دلائل الوحدانية وعظم الصمدية والإرشاد لمن ضل عن معرفته حيث نبّه تعالى بقوله: ﴿متجاورات﴾ومع تجاورها قطعة عذبة وأخرى ملحة، قطعة طيّبة وأخرى خبيثة كما أنّ التربة واحدة، وتسقى بماء واحد وتختلف طعوم الثمار وألوانه وخصائصه ومنافعه فهذا لن يكون صادراً إلاّ عن ذي قدرة لا تُحدّ وعلم لا ينتهي وحكمة لايخلو منها شيء، وهو الله تعالى، وأين الطبيعة العمياء الصماء التي لا علم لها ولا إرادة من الله خالق كل شيء العليم بكل شيء؟

جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾

شـرح الكلمات :

وإن تعجب : أي يأخذك العجب من إنكارهم نبوتك والتوحيد.

فعجـب : أي فأعجب منه إنكارهم للبعث والحياة الثانية مع وضوح الأدلة وقوة الحجج.

لفي خلق جديد : أي نرجع كما كنا بشراً أحياء.

الأغلال في أعناقهم : أي موانع من الإيمان والاهتداء في الدنيا، وأغلال تشد بها أيديهم إلى أعناقهم في الآخرة.

بالسيئة : أي بالعـذاب.

قبـل الحسنة : أي الرحمة وما يحسن بهم من العاقبة والرخاء والخصب.

المثـلات : أي العقوبات واحدها مَثُلة التي قد أصابت المكذبين في الأمم الماضية.

لولا أنزل عليه : أي هلاّ أنزل، ولولا أداة تحضيض كهـلاّ.

آية من ربه : أي معجزة كعصا موسى وناقة صالح مثلاً.

ولكل قوم هاد : أي نبي يدعوهم إلى ربهم ليعبدوه وحده ولا يشركون به غيره.

ما تحمل كل أنثى : أي من ذكر أو أنثى واحداً أو أكثر أبيض أو أسمر.

وما تغيض الأرحام : أي تنقص من دم الحيض، وما تزداد منه.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في دعوة المشركين إلى الإيمان بالتوحيد والنبوة المحمدية والبعث يوم القيامة للحساب والجزاء، فقوله تعالى في الآية الأولى (٥) ﴿وإن تعجب﴾[1] يا نبينا من عدم إيمانهم برسالتك وتوحيد ربك فعجب أكبر هو عدم إيمانهم بالبعث الآخر، إذ قالوا في إنكار وتعجب: ﴿أئذا متنا[2] وكنا تراباً أئنا لفي خلق جديد﴾ أي يحصل لنا بعد الفناء والبلى؟ قال تعالى مشيراً إليهم مسجلاً الكفر عليهم ولازمه وهو العذاب ﴿أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال[3] في أعناقهم﴾ وهي في الدنيا موانع الهداية كالتقليد الأعمى والكبر والمجاحدة والعناد، وفي الآخرة أغلال توضع في أعناقهم من حديد تشد بها أيديهم إلى أعناقهم، ﴿وأولئك أصحاب النار﴾ أي أهلها ﴿هم فيها خالدون﴾ أي ماكثون أبداً لا يخرجون منها بحال من الأحوال.

وقوله تعالى في الآية الثانية (٦) ﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة﴾ يخبر تعالى رسوله مقرراً ما قال أولئك الكافرون بربهم ولقائه ونبي الله وما جاء به، ما قالوه استخفافاً واستعجالاً وهو طلبهم العذاب الدنيوي، إذ كان الرسول ﷺ يخوفهم من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فهم يطالبون به كقول بعضهم: ﴿فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾، قبل طلبهم الحسنة وهذا لجهلهم وكفرهم، وإلا لطالبوا بالحسنة التي هي العافية والرخاء والخصب قبل السيئة التي هي الدمار والعذاب.

---

(١) أصل التعجب: تغير النفس بما تخفي أسبابه، والمخاطب في هذا الرسول ﷺ والمؤمنون تابعون له.

(٢) مثل هذا الاستفهام وقع في تسع سور من القرآن في أحد عشر موضعاً ومن القرّاء من استفهم في الموضعين أئذا كنا تراباً أئنا لمبعوثون ومنهم من استفهم في موضع واحد، فمن استفهم في الأول والثاني قصد المبالغة في الإنكار فأتى به في الجملة الأولى وأعاده في الثانية تأكيداً له ومن أتى به مرّة واحدة لحصول المقصود به لأنّ كل جملة مرتبطة بالثانية فإذا أنكر في إحداهما حصل الإنكار في الأخرى (افادهُ الجمل).

(٣) الأغلال: جمع غل وهو طوق من حديد تشدّ به اليد إلى العنق.

وقوله تعالى: ﴿وقد خلت من قبلهم المثلات﴾[1] أي والحال أن العقوبات قد مضت في الأمم من قبلهم كعقوبة الله لعاد وثمود وأصحاب الأيكة والمؤتفكات فما لهم يطالبون بها استبعاداً لها واستخفافاً بها أين ذهبت عقولهم؟ وقوله تعالى: ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس[2] على ظلمهم﴾ وهو ظاهر مشاهد إذ لو كان يؤاخذ بالظلم لمجرد وقوعه فلم يغفر لأصحابه لما ترك على الأرض من دابة، وقوله: ﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾ أي على من عصاه بعد أن أنذره وبين له ما يتقي فلم يتق ما يوجب له العذاب من الشرك والمعاصي.

وقوله تعالى في الآية الثالثة (٧) ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه﴾! يخبر تعالى رسوله والمؤمنين عن قيل الكافرين بالتوحيد والبعث والنبوة: ﴿لولا﴾ أي هلا أنزل على محمد ﷺ آية من ربه كعصا موسى وناقة صالح، حتى نؤمن بنبوته ونصدق برسالته، فيرد تعالى عليهم بقوله: ﴿إنما أنت منذر﴾ والمنذر المخوف من العذاب وليس لازماً أن تنزل معه الآيات، وعليه فلا تلتفت إلى ما يطالبون به من الآيات، واستمر على دعوتك فإن لكل قوم هادياً[3] وأنت هادي هذه الأمة، وداعيها إلى ربها فادع واصبر.

وقوله تعالى في الآية الرابعة (٨) ﴿الله يعلم ما تحمل كل انثى﴾[4] أي من ذكر أو أنثى واحداً أو أثنين أبيض أو أسمر سعيداً أو شقياً، وقوله: ﴿وما تغيض[5] الأرحام وما تزداد﴾ أي ويعلم ما تغيض الأرحام من دماء الحيض[6] وما تزداد منها إذ غيضها ينقص من مدة الحمل وازديادها يزيد في مدة الحمل فقد تبلغ السنة أو أكثر، وقوله: ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ أي وكل شيء في حكمه وقضائه وتدبيره بمقدار معين لا يزيد ولا ينقص في ذات ولا صفة

---

(١) المثلات: جمع مثلة، وهي العقوبة نحو: صدُقة وصدُقات، وتضم الميم وتسكن الثاء مثْلة كغرفة والجمع مُثل كقُرب وهي العقوبة الشديدة التي تكون مثالاً تمثل بها العقوبات.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنه هذه أرجى آية في كتاب الله، قال سعيد بن المسيّب، لمّا نزلت قال رسول الله ﷺ (لولا عفو الله ورحمته وتجاوزه لما هنأ أحداً عيشُه ولولا عقابه ووعيده وعذابه لا تكل كل أحد).

(٣) هادي كل امة رسولها الذي بعث فيها وخلفاء الأنبياء وحواريوهم هداة يهدون من بعدهم والله يهدي من يشاء.

(٤) قال القرطبي: من ذكر أو أنثى: صَبيح أو قبيح صالح أو طالح. وقوله: ﴿كل أنثى﴾ يفيد عموم كل أنثى في الإنسان والحيوان، وهو كذلك.

(٥) العادة أنّ انحباس الحيض دال على العلوق أي: الحمل، وفيضان الدم دال على عدم الحمل، وتفسير الآية بهذا حسن، فالله تعالى يعلم ما تغيض الأرحام من الدم، لانشغال الرحم بالعلقة ثمّ بالجنين، وماتزداد من الدم حتى يفيض عنها، ويخرج، وهو دم من لا حمل لها. وما في التفسير وجه وهذا الوجه أوضح.

(٦) استدل بالآية من قال: الحامل لا تحيض وهو أبو حنيفة. والجمهور على أنها تحيض كما استدل بها كل من قال: الحمل تزيد مدته إلى أربع سنوات، وهو الجمهور، وخالف الظاهرية في ذلك.

ولا حال، ولا زمان ولا مكان، وقوله[1]: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي كل ما غاب عن الخلق، وما لم يغب عنهم مما يشاهدونه أي العليم بكل شيء، وقوله: ﴿الكبير المتعال﴾ أي الذي لا أكبر منه وكل كبير أمامه صغير المتعال على خلقه المنزه عن الشريك والشبيه والصاحبة والولد هذا هو الله وهذه صفاته فهل يليق بعاقل أن ينكر استحقاقه للعبادة دون سواه؟ فهل يليق بعاقل أن ينكر عليه أن يوحي بما شاء على من يشاء من عباده؟ فهل يليق بعاقل أن ينكر على من هذه قدرته وعلمه أن يحيي العباد بعد أن يميتهم ليسألهم عن كسبهم ويحاسبهم عليه ويجزيهم به؟ اللهم لا إذاً فالمنكرون على الله ما دعاهم إلى الإيمان به لا يعتبرون عقلاء وإن طاروا في السماء وغاصوا في الماء.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير أصول العقيدة الثلاثة[2]: التوحيد والنبوة البعث والجزاء الآخر.

٢- صوارف الإيمان والتي هي كالأغلال هي التقليد الأعمى والكبر والعناد.

٣- عظيم قدرة الله تعالى وسعة علمه.

٤- تقرير عقيدة القضاء والقدر.

﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾

﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾

شرح الكلمات:

وسارب بالنهار : أي ظاهر في سربه أي طريقه.

له معقبات : أي ملائكة تتعقبه بالليل والنهار.

من أمر الله : أي بأمر الله تعالى وعن إذنه وأمره.

لا يغير ما بقوم : أي من عافية ونعمة إلى بلاء وعذاب.

ما بأنفسهم : من طهر وصفاء بالإيمان والطاعات إلى الذنوب والآثام.

وما لهم من دونه من وال : أي وليس لهم من دون الله من يلي أمرهم فيدفع عنهم العذاب.

من خيفته : أي من الخوف منه وهيبته وجلاله.

وهو شديد المحال : أي القوة والمماحلة.

معنى الآيات:

ما زال السياق في ذكر جلال الله وعظيم قدرته وسعة علمه، قال تعالى في هذه الآية: ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به﴾[1] فالله يعلم السر والجهر وأخفى ﴿ومن هو مستخف بالليل﴾ يمشي في ظلامه ومن هو ﴿سارب بالنهار﴾[2] أي يمشي في سربه وطريقه مكشوفاً معلوماً لله تعالى، وقوله تعالى: ﴿له معقبات[3] من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من

(١) هذه الآية كالنتيجة لما تقدم من الدلائل على علم الله وقدرته وحكمته الموجبة لألوهيته وفيها تعريض بالمشركين المتآمرين على قتل النبي ﷺ لو أمكنهم، وسواء: بمعنى مستو، وهو اسم يكون بين شيئين كالسر هنا والجهر أي: مستوى عنده السر والجهر.

(٢) السرب: بفتح السين وسكون الراء: الطريق، والسارب: اسم فاعل من سرب إذا ذهب.

(٣) جمع معقبة وهو مأخوذ من العقب الذي هو مؤخر الرجل فكل من اتبع آخر فقد تعقبه فهو متعقب له، وعقبه يعقبه فهو عاقب له: إذا جاء بعده، والمعقبات هنا: الملائكة لحديث (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) إذا صعدت ملائكة النهار أعقبتها ملائكة الليل وهكذا.

أمر الله﴾ جائز أن يعود الضمير في «له» على من هو مستخف بالليل وسارب بالنهار، فيكون المراد من المعقبات الحرس والجلاوزة الذين يحرسون السلطان من أمر الله تعالى في نظرهم، ولكن إذا أراده الله بسوء فلا مرد له وماله من دون الله من وال يتولى حمايته والدفاع عنه، وجائز أن يعود على الله تعالى ويكون المراد من المعقبات الملائكة الحفظة[1] والكتبة للحسنات والسيئات ويكون معنى من أمر الله[2] أي بأمره تعالى وإذنه، والمعنى صحيح في التوجيهين للآية وإلى الأول ذهب ابن جرير وإلى الثاني ذهب جمهور المفسرين، وقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ يخبر تعالى عن سنة من سننه في خلقه ماضية فيهم وهي أنه تعالى لا يزيل نعمة أنعم بها على قوم من عافية وأمن ورخاء بسبب إيمانهم وصالح أعمالهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من طهارة وصفاء بسبب ارتكابهم للذنوب وغشيانهم للمعاصي نتيجة الإعراض عن كتاب الله وإهمال شرعه وتعطيل حدوده والانغماس في الشهوات والضرب في سبيل الضلالات، وقوله تعالى: ﴿وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ومالهم من دونه من وال﴾ هذا إخبار منه تعالى بأنه إذا أراد بقوم أو فردٍ أو جماعة سوءاً ما أي ما يسوءهم من بلاء وعذاب فلا مرد له بحال من الأحوال بل لابد وأن يمسهم، ولا يجدون من دون الله من وال يتولى صرف العذاب عنهم، أما من الله تعالى فإنهم إذا أنابوا إليه واستغفروه وتابوا إليه فإنه تعالى يكشف عنهم السوء ويصرف عنهم العذاب، وقوله تعالى: ﴿هو الذي يريكم البرق خوفاً﴾ من الصواعق من جهة وطمعاً في المطر من جهة أخرى ﴿وينشىء السحاب الثقال﴾ أي وهو الذي ينشىء[3] أي يبدء السحاب الثقال الذي يحمل الأمطار ﴿ويسبح الرعد بحمده﴾[4] أي وهو الذي يسبح الرعد بحمده وهو ملك موكل بالسحاب يقول:

---

(١) الحفظة: جمع حافظ: ملائكة موكلون بالعبد يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من الجن، والشياطين، فإذا جاء أمر الله أي: قدره تخلّوا عنه والكتبة: جمع كاتب: ملك يكتب الحسنات وآخر يكتب السيئات.

(٢) ذكر القرطبي: أن العلماء رحمهم الله تعالى ذكروا أن الله سبحانه وتعالى جعل أوامره على وجهين. أحدهما: قضى وقوعه وحلوله بصاحبه فهذا لا يدفعه أحد، والثاني: قضى مجيئه ولم يقض حلوله ووقوعه بل قضى صرفه بالتوبة والدعاء والصدقة.

(٣) إنشاء السحاب: تكوينه من عدم بإثارة الأبخرة التي تتجمع سحاباً، والسحاب اسم جمع لسحابة، وسميت سحابة لأنها تسحب من مكان إلى مكان.

(٤) الباء للملابسة: أي يسبّح الله تسبيحاً ملابساً لحمده، والتسبيح، التنزيه.

سبحان الله وبحمده، وقوله: ﴿والملائكة[1] من خيفته[2]﴾ أي خيفة الله وهيبته وجلاله فهي لذلك تسبحه أي تنزهه عن الشريك والشبيه والولد بألفاظ يعلمها الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون[3] في الله﴾ أي في وجوده وصفاته وتوحيده وطاعته ﴿وهو شديد المحال[4]﴾ هذه الآية نزلت فعلاً في رجل[5] بعث إليه رسول الله ﷺ من يدعوه إلى الإسلام فقال الرجل الكافر لمن جاء من قبل رسول الله ﷺ: من رسول الله؟ وما الله أمن ذهب هو أم من فضة أم من نحاس؟ فنزلت عليه صاعقة أثناء كلامه فذهبت بقحف رأسه، ومعنى شديد المحال أي القوة والأخذ والبطش.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ سعة علم الله تعالى.

٢ـ الحرس والجلاوزة لمن يستخدمهم لحفظه من أمر الله تعالى لن يغنوا عنه من أمر الله شيئاً.

٣ـ تقرير عقيدة أن لكل فرد ملائكة يتعاقبون عليه بالليل والنهار منهم الكرام الكاتبون، ومنهم الحفظة للإنسان من الشياطين والجان.

٤ـ بيان سنة أن النعم لا تزول إلا بالمعاصي.

٥ـ استحباب قول سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته عند سماع الرعد لورود ذلك عن النبي ﷺ بألفاظ مختلفة.

لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا

---

(١) والملائكة تسبح أيضاً من خوف الله تعالى.

(٢) ﴿من خيفته﴾ من: تعليلية أي: لأجل الخوف منه تعالى.

(٣) ﴿يجادلون﴾: المفعول محذوف تقديره: يجادلونك وأتباعك المؤمنين في شأن توحيد الله تعالى ولقائه ونبوة رسوله ﷺ.

(٤) (المحال) إن كان من الحول والميم زائدة فهو بمعنى شديد القوى، وإن كانت الميم أصلية فالمحال: بكسر الميم: فهو فعال بمعنى الكيد، وفعله محل وتمحل إذا تحيّل، إذ المجادلون كانوا يتحيلون في أسئلتهم، فأعلمهم الله أنه أقوى منهم، وأشد كيداً منهم.

(٥) قيل: نزلت في يهودي، وقيل: في أربد بن ربيعة، وعامر بن الطفيل، وقد هلك أربد بصاعقة نزلت به، وهلك عامر بغدة نبتت في جسمه فمات منها وهو في بيت امرأة من بني سلول.

كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات:

له دعوة الحق : أي لله تعالى الدعوة الحق أي فهو الإله الحق الذي لا إله إلا هو.[1]

ليبلغ فاه : أي الماء فمه.

إلا في ضلال : أي في ضياع لا حصول منه على طائل.

بالغدو والآصال : أي بالبُكر جمع بكرة، والعشايا جمع عشية.

معنى الآيات:

ما زال السياق في تقرير عقيدة التوحيد بالأدلة والبراهين، قال تعالى: ﴿له دعوة الحق﴾ أي لله سبحانه وتعالى الدعوة الحق وهي أنه الإله الحق الذي لا إله إلا هو، أما غيره فإطلاق لفظ الإله إطلاق باطل، فالأصنام والأوثان وكل ما عبد من دون الله إطلاق لفظ إله عليه إطلاق باطل، والدعوة إلى عبادته باطلة، أما الدعوة الحق فإنها لله وحده.

وقوله تعالى: ﴿والذين يدعون من دونه﴾ أي من دون الله من سائر المعبودات ﴿لا يستجيبون لهم بشيء﴾ أي لا يجيبونهم بإعطائهم شيئاً مما يطلبون منهم ﴿إلا كباسط

(١) أي: الدعوة الصدق لله تعالى لأنه هو الذي يستجيب ويعطي السؤال وأما دعوة الأصنام، فإنها دعوة كذب وباطل، فإطلاق الإله على الله إطلاق حق وصدق، وإطلاق الإله على صنم أو مخلوق فهو إطلاق كذب وباطل.

كفيه إلى الماء ﴿ أي إلا كاستجابة من بسط كفيه أي فتحهما[1] ومدهما[2] إلى الماء والماء في[4] قعر البئر فلا كفاه تصلان إلى الماء ولا الماء يصل إلى كفيه وهو عطشان ويظل كذلك حتى يهلك عطشاً. هذا مثل من يعبد غير الله تعالى بدعاء أو ذبح أو نذر أو نحوه أو رجاء فهو محروم الاستجابة خائب في مسعاه ولن تكون له عاقبة إلا النار والخسران وهو معنى قوله تعالى ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾[3] أي بطلان وخسران. وقوله تعالى: ﴿ولله يسجد من في السماوات﴾ أي الملائكة ﴿والأرض﴾ أي من مؤمن يسجد طوعاً، ومنافق أي يسجد كرهاً[4] ﴿وظلالهم﴾ تسجد أيضاً ﴿بالغدو﴾ أوائل النهار، ﴿والآصال﴾[5] أواخر النهار. ومعنى الآية الكريمة: إذا لم يسجد الكافرون أي لم ينقادوا لعبادة الله وحده تعالى فإن لله يسجد من في السماوات من الملائكة، ومن في الأرض من الجن والإنس المؤمنون يسجدون طائعين والكافرون يسجدون إذا أكرهوا على السجود والمنافقون يسجدون مكرهين، وظلالهم تسجد في البكر والعشايا كما أنهم منقادون لقضاء الله تعالى وحكمه فيهم لا يستطيعون الخروج عنه بحال فهو الذي خلقهم وصورهم كما شاء ورزقهم ما شاء ويميتهم متى شاء فأي سجود وخضوع وركوع أظهر من هذا؟ وقوله تعالى: ﴿قل من رب السماوات والأرض﴾ أي من خالقهما ومالكهما ومدبر الأمر فيهما؟ وأمر رسوله أن يسبقهم إلى الجواب ﴿قل الله﴾ إذ لا جواب لهم إلا هو، وبعد أن أقروا بأن الرب الحق هو الله، أمر رسوله ﷺ أن يقول لهم موبخاً مقرعاً ﴿أفاتخذتم من دونه أولياء﴾ أي شركاء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً فضلاً عن أن يملكوا لكم نفعاً أو يدفعون عنكم ضراً فأين يذهب بعقولكم أيها المشركون، ومبالغة في البيان وإقامة للحجة والبرهان على وجوب التوحيد وبطلان الشرك والتنديد أمر رسوله أن يقول لهم: ﴿هل يستوي الأعمى

---

(١) ضرب الله تعالى هذا المثل المائي لأن العرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلا بالقابض الماء باليد، قال الشاعر:

فأصبحت فيما كان بيني وبينها من الودّ مثل القابض الماء باليد

(٢) هذا التفسير مروي عن علي رضي الله عنه.

(٣) الضلال: التلف والضياع، والجملة: بيان لخيبة المشركين في عبادة أصنامهم ودعائها وتقرير لخسرانهم.

(٤) وكافر يسجد بخضوعه لأحكام الله تعالى الجارية عليه ولا يقدر على ردها من غنى وفقر، وصحة ومرض وسعادة وشقاوة.

(٥) الآصال: جمع أصُل: وهو جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب. وجمع الجمع أصائل، قال الشاعر:

لعمري لأنت البيت أكرم أهله وأقعد في أفيائه بالأصائل

(٦) الاستفهام للتوبيخ والتقرير.

والبصير، أم هل تستوي الظلمات والنور[1]﴾؟ والجواب قطعاً لا إذاً فكيف يستوي المؤمن والكـافر، وكيف يستوي الهدى والضلال، فالمؤمن يعبد الله على بصيرة على علم أنه خالقه ورازقه يعلم سره ونجواه يجيبه إذا دعاه أرسل إليه رسوله وأنزل عليه كتابه، والكافر المشرك يعبد مخلوقاً من مخلوقات الله لا تملك لنفسها فضلاً عن عابديها نفعاً ولا ضراً لا تسمع نداءً ولا تجيب دعاء، المؤمن يعبد الله بما شرع له من عبادات وبما طلب منه من طاعات وقربات، والكافر المشرك يعبد الباطل بهواه، ويسلك سبيل الغيّ في الحياة.

وقوله: ﴿أم[2] جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم﴾ أي بل جعلوا لله شركاء فخلقت تلك الشركاء مخلوقات كخلق الله فتشابه الخلق على المشركين فعبدوها ظناً منهم أنها خلقت كخلق الله؟ والجواب لا فإنها لم تخلق ولا تستطيع خلق ذبابة فضلاً عن غيرها إذاً فكيف تصح عبادتها وهي لم تخلق شيئاً، وقوله تعالى: ﴿قل الله خالق كل[3] شيء وهو الواحد القهار﴾ أي قل أيها الرسول للمشركين عند اعترافهم بأن آلهتهم لم تخلق شيئاً قل لهم: الله خالق كل شيء وهو الواحد الذي لا شريك له ولا ند ولا مِثْلَ، القهـار لكل جبار والمذل لكل معاند كفار، هو المستحق للعبادة الواجب له الطاعة، الإيمان به هدى والكفر به ضلال.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ دعوة الحق لله وحده فهو المعبود بحق لا إله غيره ولا رب سواه.

٢ـ حرمان المشركين من دعائهم وسائر عباداتهم.

٣ـ الخلق كلهم يسجدون لله طوعاً أو كرهاً إذ الكل خانع خاضع لحكم الله وتدبيره فيه.

---

(١) أم: للاضـراب الإنتقالي من قضية إلى أخرى واختيار العمى والبصر والنور والظلمات لبيان أنّ حال المؤمنين وحال الكافرين في تضاد فالمؤمنون مبصرون يمشون في النور، والكافرون عمي يمشون في الظلمات.

(٢) هذا من تمـام الأحتجاج والاستفهام للاضراب الأنتقالي، وهو للتهكم بالمشركين، فالمعنى: لو جعلوا لله شركاء يخلقون فخلقوا كما يخلق الله فتشابه الخلق عليهم لكانوا معذورين ولكنهم لم يخلقوا ولن يخلقوا.

(٣) في الآية رد على الملاحدة الشيوعيين الذين ينكرون وجود الله جل جلاله ورد على القدرية الذين يزعمون أنهم يخلقون أفعالهم والله يقول: ﴿والله خالق كل شيء﴾ فلا يخرج شيء عن كونه مخلوقاً لله تعالى.

٤ـ مشروعية السجود للقارىء والمستمع إذا بلغ هذه الآية ﴿وظلالهم بالغدو والآصال﴾ ويستحب أن يكون طاهراً مستقبلاً القبلة، ويكبر عند الخفض والرفع ولا يسلم.

٥ـ بطلان الشرك إذ لا دليل عليه من عقل ولا نقل.[١]

٦ـ وجوب العبادة لله تعالى.

أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾

شرح الكلمات:

فسالت أودية بقدرها : أي بمقدار مائها الذي يجري فيها.

زبداً رابياً : أي غثاء عالياً إذ الزبد هو وَضَرُ غليان الماء أو جريانه في الأنهار.

ومما يوقدون عليه في النار : أي كالذهب والفضة والنحاس.

ابتغاء حلية أو متاع[٢] : أي طلباً لحلية من ذهب أو فضة أو متاع من الأواني.

زبد مثله : أي مثل زبد السيل.

فأما الزبد : أي زبد السيل أو زبد ما أوقد عليه النار.

---

(١) إذ العقل لا يجيز عبادة مخلوق مربوب لا يملك لنفسه فضلاً عن غيره موتاً ولا حياة بل ولا ضراً ولا نفعاً والنقل حرّم الشرك بجميع أنواعه الأكبر والأصغر والخفي والجلي قال تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا﴾ من الشرك والشركاء.

(٢) ﴿ابتغاء﴾: مفعول لأجله، والحلية: ما يتحلى به، أي يتزيّن، والمتاع ما يتمتع به وينتفع.

فيذهب جفــاء[1] : أي باطلاً مرمياً به بعيداً إذ هو غثاء ووضر لا خير فيه.

فيمكث في الأرض : أي يبقى في الأرض زمناً ينتفع به الناس.

للذين استجابوا لربهم الحسنى: أي للذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنة.

لم يستجيبوا : أي لم يؤمنوا به ولم يطيعوه.

لافتــدوا بــه : أي من العــذاب.

سـوء الحسـاب : وهي المؤاخذة بكل ذنب عملوه لا يغفر لهم منه شيء.

وبئس المهـاد : أي الفراش الذي أعدوه لأنفسهم وهو جهنم.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في تقرير التوحيد والتنديد بالكفر والشرك ففي هذه الآية الكريمة ضرب الله تعالى مثلاً للحق والباطل، للحق في بقائه، والباطل في اضمحلاله وتلاشيه فقال: ﴿أنزل﴾ أي الله ﴿من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها﴾[2] أي بحسب كبرها وصغرها لأن الوادي قد يكون كبيراً وقد يكون صغيراً، فاحتمل السيل أي حمل سيل الماء في الوادي زبداً رابياً أي غثاء ووضراً عالياً على سطح الماء، هذا مثل مائي، ومثل ناري قال فيه عز وجـل: ﴿ومما يوقدون عليه في النار﴾[3] أي ومما يوقد عليه الصاغة والحدادون ﴿ابتغاء حلية﴾ أي طلباً للحلية، ﴿أو متاع﴾ أي طلباً لمتاع يتمتع به كالأوانى إذ الصائغ أو الحداد يضع الذهب أو الفضة أو النحاس في البوتقة وينفخ عليها بالكير فيعلو ما كان فاسداً غير صالـح على صورة الزبد[4] وما كان صالحاً يبقى في البوتقة وهو الذي يصنع منه الحلية والمتاع، وقوله تعالى: ﴿كذلك﴾ أي المذكور من الأمور الأربعة مثلي الحق وهما الماء والجوهر ومثلي الباطل وهما زبد الماء وزبد الجوهر ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء﴾ أي باطلاً

---

(١) الجفاء: ما أجفاه الوادي أي: رمى به.

(٢) ﴿أودية﴾ جمع واد، والوادي اسم للماء السائل هنا إذ الوادي وهو أخدود بين مرتفعين لا يسيل وإنما يسيل الماء فيه، ومعنى: ﴿بقدرها﴾: أي: بقدر ملئها.

(٣) هذا المثل الثاني والأول هو مثل الماء السائل في الوادي وما يحمل من زبد عالٍ.

(٤) هو معنى قوله تعالى: ﴿زبد مثله﴾ أي زبد ما يعلو الذهب والفضة والحديد كزبد ما يعلو ماء السيل.

مرمياً به يرميه السيل إلى ساحـل الوادي فيعلق بالأشجار والأحجار ويرميه الصائغ عن بوتقته، وأما ما ينفع الناس من الماء للسقي والري فيمكث في الأرض، وكذا ما ينفع من الحلي والمتاع يبقى في بوتقة الصائغ والحداد[1] وقوله تعالى: ﴿كذلك يضرب الله الأمثال﴾ أي مثل هذا المثل الذي ضربه للحق في بقائه والباطل في ذهابه وتلاشيه وإن علا وطغا في بعض الأوقات، ﴿يضرب﴾ أي بين الأمثال، ليعلموا فيؤمنوا ويهتدوا فيكملوا ويسعدوا.

هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٧) وأما الآية الثانية (١٨) فقد أخبر تعالى بوعد له ووعيد أما وعده فلأهل طاعته بأن لهم الحسنى[2] الجنة وأما وعيده فلأهل معصيته وهو أسوأ وعيد وأشـده،[3] فقال تعالى في وعده: ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى﴾ وقال في وعيده: ﴿والذين لم يستجيبوا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً﴾ أي من مال ومتاع ﴿ومثله معه﴾ أيضاً لافتدوا به من العذاب الذي تضمنه هذا الوعيد الشديد، ويعلن عن الوعيد فيقول: ﴿أولئك﴾ أي الأشقياء ﴿لهم سوء الحساب﴾ وهو أن يحاسبوا على كل صغيرة وكبيرة في أعمالهم ولا يغفر لهم منها شيء ﴿ومأواهم جهنم﴾ أي مقرهم ومكان إيوائهم ﴿وبئس المهاد﴾ أي الفراش جهنم لهم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان.

٢ـ ثبات الحق، واضمحلال الباطل سنة من سنن الله تعالى.

٣ـ بيان وعد الله للمستجيبين له بالإيمان والطاعة وهي الجنة.

٤ـ بيان وعيد الله لمن لم يستجب له بالإيمان والطاعة.

---

(١) هذا مثل للحق والباطل إذا اجتمعا فإنه لاثبات للباطل ولا دوام له مثل الزبد مع الماء أو مع الحلية لا يبقى بل يذهب ويتلاشى ويضمحل والمراد من الحق والباطل: الإيمان والكفر، واليقين والشك.

(٢) ومن الحسنى: النصر في الدنيا والتمكين فيها لأهل التوحيد.

(٣) وهو النار وبئس المهاد.

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾

شـرح الكلـمات :

كمن هو أعمى : أي لا يرى الحق ولا يعلمه ولا يؤمن به .

أولـوا الألباب : أي أصحـاب العقول .

يصلون ما أمر الله به أن يوصل : أي من الإيمان والتوحيد والأرحام .

ويدرءون بالحسنة : أي يدفعون بالحلم الجهل ، وبالصبر الأذى .

عقبى الدار : أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة .

جنات عدن : أي جنـات إقامة دائمة .

معنى الآيـات :

لقـد تضمنت هذه الآيات مقـارنة ومفاضلة بين شخصيتين : الأولى شخصية مؤمن صالح كحمزة بن عبدالمطلب والثانية شخصية كافر فاسد كأبي جهل المخزومي وبين ما

لهمـا من جزاء في الدار الآخرة، مع ذكر صفات كل منهما، تلك الصفات المقتضية لجزائهما في الدار الآخرة قال تعالى: ﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق﴾ فيؤمن به بعد العلم ويستقيم على منهجه في عقيدته وعبادته ومعاملاته وسلوكه كله. هذه الشخصية الأولى ﴿كمن هو أعمى[1]﴾ لم يعلم الحق ولم يؤمن به ولم يعمل بما أنزل إلى الرسول من الشرع.

والجواب قطعاً أنهما لا يستويان ولا يكونان في ميزان العدل والحق متساويين وقوله تعالى: ﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾ أي يتعظ بمثل هذه المقارنة أصحاب العقول المدركة للحقائق والمفرقة بين المتضادّات كالحق والباطل والخير والشر والنافع والضار. وقوله تعالى: ﴿الذين يوفون﴾ هذا مشروع في بيان صفاتهم المقتضية إنعامهم وإكرامهم نذكر لهم ثماني صفات هي كالتالي: (١) الوفاء بالعهود وعدم نقضها: ﴿الذين يوفون بعهد[2] الله ولا ينقضون الميثاق[3]﴾ إذ لا دين لمن لا عهد له. (٢) وصل ما أمر الله به أن يوصل من الإيمان والإسلام والإحسان والأرحام: ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾. (٣) خشية الله المقتضية لطاعته: ﴿ويخشون ربهم﴾. (٤) الخوف من سوء الحساب يوم القيامـة المقتضي لمحـاسبـة النفس على الصغيرة والكبيرة: ﴿ويخـافـون سوء الحساب﴾. (٥) الصبر طلبا لمرضاة الله على الطاعات وعن المعاصي، وعلى البلاء: ﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم﴾. (٦) إقامة الصلاة وهي اداؤها في أوقاتها جماعة بكامل الشروط والأركان والسنن والآداب: ﴿وأقاموا الصلاة﴾. (٧) الانفاق مما رزقهم الله في الزكاة والصدقات الواجبة والمندوبة: ﴿وأنفقوا مما رزقناهم﴾. (٨) دفع السيئة بالحسنة فيدرءون سيئة الجهل عليهم بحسنة الحلم، وسيئة الأذى بحسنة[4] الصبر.

وقوله تعالى: ﴿أولئك لهم عقبى الدار﴾ أي العاقبة المحمودة وفسرها بقوله ﴿جنات عدن﴾ أي إقامة لا ظعن منها يدخلونها هم ﴿ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذريّاتهم﴾

---

(١) المراد من العمى هنا: عمى القلب لا عمى البصر، والجهل هو سبب العمى.

(٢) العهد هنا: اسم جنس إذ المراد الوفاء بكافة عهود الله تعالى وهي أوامره ونواهيه التي وصى بها عباده.

(٣) الميثاق هنا: أيضاً اسم جنس يدخل فيه كل المواثيق أي: إذا عقدوا في طاعة الله عهداً لم ينقضوه، قال قتادة: ورد النهي عن نقض الميثاق في بضع وعشرين آية.

(٤) وسيئة المعصية بالتوبة منها. واللفظ العام الشامل هو أنهم يدفعون بالعمل الصالح كل عمل فاسد.

والصلاح هنا الإيمان والعمل الصالح. وقوله: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾ هذا عند دخولهم الجنة تدخل عليهم الملائكة تهنئهم بسلامة الوصول وتحقيق المأمول وتسلم عليهم قائلة: ﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾ أي بسبب صبركم والإيمان والطاعة ﴿فنعم عقبى الدار﴾.[1] هذه تهنئة الملائكة لهم وأعظم بها تهنئة وأبرك بها بركة اللهم اجعلني منهم ووالدي وأهل بيتي والمسلمين أجمعين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- المؤمن حيّ يبصر ويعلم ويعمل والكافر ميت أعمى لا يعلم ولا يعمل.

٢- الاتعاظ بالمواعظ يحصل لذي عقل راجح سليم.

٣- فضل هذه الصفات الثمانية المذكورة في هذه الآيات. أولها الوفاء بعهد الله وآخرها درء السيئة بالحسنة.

٤- تفسير عقبى الدار[2] وأنها الجنة.

٥- بيان أن الملائكة تهنىء أهل الجنة عند دخولهم وتسلم عليهم.

وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ

(١) جائز أن يكون معنى عقبى الدار: الجنة وجائز أن يكون عقبى الدار: دار الدنيا إذ عقباها الدار الآخرة وفيها الجنة، إذا كانوا في دار الدنيا يعملون الصالحات فورثهم الله الجنة فكانت عقبى الدنيا إذ عقبى الدار بمعنى عاقبتها.

(٢) أي: فعقبى دار الدنيا الجنة هذا كقوله والعاقبة للتقوى، وقوله ﴿ولنعم دار المتقين﴾ أي الجنة.

قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾

شـرح الكلمـات :

والذين ينقضون عهد الله : أي يحلونه ولا يلتزمون به فلم يعبدوا ربهم وحده.

ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل : أي من الإيمـان والأرحـام.

ويفسدون في الأرض : أي بتـرك الصلاة ومنع الزكاة، وبارتكاب السيئات وترك الحسنات.

لهم اللعنة : أي البعد من رحمة الله تعالى.

ولهم سوء الدار : أي جهنم وبئس المهاد.

ويقــدر : أي يضيق ويقتر.

إلا متـاع : قدر يسير يتمتع به زمناً ثم ينقضي.

طوبى لهم وحسن مآب : أي لهم طوبى شجرة في الجنة وحسن منقلب وهو دار السلام.

معنى الآيـات :

قوله تعالى: ﴿والذين ينقضون﴾ الآيات، هذا هو الطرف المقابل أو الشخصية الثانية وهو من لم يعلم ولم يؤمن كأبي جهل المقابل لحمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه ذكر تعالى هنا صفاته الموجبة لعذابه وحرمانه فذكر له ولمن على شاكلته الصفات التالية:

(١) نقض العهـد فلم يعبـدوا الله ولم يوحـدوه وهو العهد الذى أخذ عليهم في عالم الأرواح: ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾.

(٢) قطع ما أمر الله به أن يوصل من الإيمان[١] وصلة الأرحام: ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾.

---

(١) أي بسائر الأنبياء فلا يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض كاليهود والنصارى.

(٣) الإفساد في الأرض بالشرك والمعاصي: ﴿ويفسدون في الأرض﴾[1] بهذه الصفات استوجبوا هذا الجزاء، قال تعالى: ﴿أولئك لهم اللعنة﴾ أي البعد من الرحمة ﴿ولهم سوء الدار﴾[2] أي جهنم وبئس المهاد، وقوله تعالى: ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا، وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾ يخبر تعالى عن سنة من سننه في خلقه وهي أنه يبسط الرزق أي يوسعه على من يشاء امتحانا هل يشكر أم يكفر ويضيِّق ويقتِّر على من يشاء ابتلاء هل يصبر أو يجزع، وقد يبسط الرزق لبعض إذ لا يصلحهم إلا ذاك، وقد يضيق على بعض إذ لا يصلحهم إلا ذاك، فلن يكون الغنى دالاً على رضى الله، ولا الفقر دالاً على سخطه تعالى على عباده، وقوله: ﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾ أي فرح أولئك الكافرون بالحياة الدنيا لجهلهم بمقدارها وعاقبتها وسوء آثارها وما الحياة الدنيا بالنسبة إلى ما أعد الله لأوليائه وهم أهل الإيمان به وطاعته إلا متاع قليل كَكَفٍّ التمر أوقرص الخبز يعطاه الراعي غذاء له طول النهار ثم ينفد، وقوله تعالى في الآية (٢٧): ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه[3] آية من ربه﴾ فقد تقدم مثل هذا الطلب من المشركين وهو مطالبة المشركين النبي ﷺ أن تكون له آية كناقة صالح أو عصا موسى ليؤمنوا به وهم في ذلك كاذبون فلم يحملهم على هذا الطلب إلا الاستخفاف والعناد وإلا آيات القرآن أعظم من آية الناقة والعصا، فلذا قال تعالى لرسوله: ﴿قل إن الله يضل من يشاء﴾ إضلاله ولو رأى وشاهد ألوف الآيات ﴿ويهدي إليه[4] من أناب﴾ ولو لم ير آية واحدة إلا أنه أناب إلى الله فهداه إليه وقبله وجعله من أهل ولايته، وقوله تعالى في الآية (٢٨) ﴿الذين[5] آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ أولئك الذين أنابوا إليه تعالى إيماناً وتوحيداً فهداهم إليه صراطاً مستقيماً هؤلاء تطمئن قلوبهم أي تسكن وتستأنس بذكر الله وذكر وعده وذكر صالحي عباده محمد ﷺ وأصحابه، وقوله تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن

---

(١) أي بالشرك وارتكاب المعاصي.

(٢) أي سوء المنقلب وهو جهنم. قال سعد ابن أبي وقاص: والله الذي لا إله إلا هو انهم الحرورية: بمعنى الخوارج.

(٣) المطالبون بالآيات المقترحون لها على رسول الله ﷺ. من بينهم عبدالله بن أمية وأصحابه.

(٤) الضمير في قوله: ﴿ويهدي إليه من أناب﴾: يعود على الحق أو الإسلام أو الله عز وجل. أي يهدي إلى جنته وطاعته من رجع إليه بقلبه والكل صالح ومراد.

(٥) الذين: في محل نصب لأنه مفعول يهدي، ويصح أن يكون بدلا من قوله: ﴿أناب﴾ وذكر الله هوذكره بألسنتهم وبقلوبهم وهو يشمل ذكر الوعد والوعيد وكمال الله كما يشمل قراءة كتابه وتلاوة آياته قال مجاهد: هم أصحاب النبي ﷺ وحقاً هم ومن يأتي بعدهم ينهج نهجهم في الإيمان والتقوى.

القلوب﴾ أي قلوب المؤمنين أما قلوب الكافرين فإنها تطمئن لذكر الدنيا وملاذها وقلوب المشركين تطمئن لذكر أصنامهم، وقوله تعالى: ﴿الذين آمنوا[1] وعملوا الصالحات طوبى[2] لهم وحسن مآب﴾ إخبار من الله تعالى بما أعد لأهل الإيمان والعمل الصالح وهو طوبى حال من الحسن الطيب يعجز البيان عن وصفها أو شجرة في الجنة وحسن منقلب وهو الجنة دار السلام والنعيم المقيم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ حرمة الاتصاف بصفات أهل الشقاء وهي نقض العهد، وقطع ما أمر الله به أن يوصل والإفساد في الأرض بالشرك والمعاصي.

٢ـ بيان أن الغنى والفقر يتمان حسب علم الله تعالى امتحانا وابتلاء فلا يدلان على رضا الله ولا على سخطه.

٣ـ حقارة الدنيا وضآلة ما فيها من المتاع.

٤ـ فضل ذكر الله وسكون القلب إليه.

٥ـ وعد الله تعالى لأهل الإيمان والعمل الصالح بطوبى وحسن المآب.

كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانٗا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ

---

(١) الـذين آمنـوا، هذا مبتـدأ، والخبـر: طوبى لهم وحسن مآب يعطف عليه، وطوبى ورد أنها شجرة في الجنة، ففي البخاري: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لايقطعها).

(٢) ﴿طوبى﴾ مصدر طاب يطيب طيباً إذا أحسن وهي بوزن البشرى، والزلفى قلبت ياؤها واواً لمناسبة الضمة قبلها أي: الخير الكامل لأنهم اطمأنت قلوبهم بذكر الله فهم في طيب حال.

بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

كذلك أرسلناك : أي مثل ذلك الإرسال الذي أرسلنا به رسلنا أرسلناك.

لتتلو عليهم : أي لتقرأ عليهم القرآن تذكيراً وتعليماً ونذارة وبشارة.

وهم يكفرون بالرحمن : إذ قالوا وما الرحمن وقالوا لا رحمن إلا رحمان اليمامة.

سيرت به الجبال : أي نقلت من أماكنها.

أو قطعت به الأرض : أي شققت فجعلت أنهاراً وعيوناً.

أو كلم به الموتى : أي أحيوا وتكلموا.

أفلم ييأس : أي يعلم.

قارعة : أي داهية تقرع قلوبهم بالخوف والحزن وتهلكهم وتستأصلهم.

أو تحل قريباً من دارهم : أي القارعة أو الجيش الإسلامي.

فأمليت : أي أمهلت وأخرت مدة طويلة.

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير أصول العقائد: التوحيد والنبوة والبعث والجزاء الآخر ففي الآية الأولى من هذا السياق وهي قوله تعالى: ﴿كذلك أرسلناك﴾ فقرر نبوة الرسول ﷺ

بقوله كذلك أي الإرسال الذي أرسلنا من قبلك أرسلناك أنت إلى أمة قد خلت من قبلها أمم، وبين فائدة الإرسال فقال: ﴿لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك﴾ وهو الرحمة والهدى والشفاء ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾[1] الرحمن[2] الذي أرسلك لهم بالهدى ودين الحق لإكمالهم وإسعادهم يكفرون به، إذاً فقل أنت أيها الرسول هو ربي لا إله إلا هو أي لا معبود بحق إلا هو عليه توكلت وإليه متاب أي توبتي ورجوعي فقرر بذلك مبدأ التوحيد بأصدق عبارة وقوله تعالى في الآية الثانية (٣١) ﴿ولو أن قرآنا﴾ الخ .. لا شك أن مشركي مكة كانوا طالبوه بما ذكر في هذه الآية إذ قالوا إن كنت رسولاً فادع الله ربك فيسير عنا هذه[3] الجبال التي تكتنف وادينا فتتسع أرضنا للزراعة والحراثة وقطع أرضنا فأخرج لنا منها العيون والأنهار وأحيي لنا فلاناً وفلاناً حتى نكلمهم ونسألهم عن صحة ما تقول وتدعي بأنك نبي فقال تعالى: ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾ أي لكان هذا القرآن، ولكن ليست الآيات هي[4] التي تهدي بل لله الأمر جميعاً يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ولما صرفهم الله تعالى عن الآيات الكونية لعلمه تعالى أنهم لو أعطاهم إياها لما آمنوا عليها فيحق عليهم عذاب الإبادة كالأمم السابقة، وكان من المؤمنين من يود الآيات الكونية ظناً منه أن المشركين لو شاهدوا آمنوا و لنتهت المعركة الدائرة بين الشرك والتوحيد قال تعالى: ﴿أفلم ييأس[5] الذين آمنوا﴾ أي يعلموا ﴿أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾ بالآيات وبدونها فليترك الأمر له سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وقوله تعالى: ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا﴾ أي من الشرك والمعاصي ﴿قارعة﴾ أي داهية تقرع قلوبهم بالخوف والفزع ونفوسهم بالهم والحزن وذلك كالجدب والمرض والقتل والأسر ﴿أو تحل قريباً من دارهم﴾ أي يحل الرسول بجيشه الإسلامي ليفتح مكة حتى يأتي وعد الله بنصرك أيها الرسول عليهم والآية

(١) هذا تشبيه في الإنعام أي: شبه الإنعام على من أرسل إليهم محمد ﷺ بالإنعام على من أرسل إليه الأنبياء قبله.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ: اسجدوا للرحمن قالوا: وما الرحمن؟ والآية وإن لم تنزل بخصوص دعوى المشركين إلا أنها تحمل رداً عليهم في دعواهم الباطلة.

(٣) تقدّم أن من بين المطالبين أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية المخزوميين إذ قالا له ﷺ: إن سرك أن نتبعك فسير لنا جبال مكة بالقرآن فاذهبها عنا .. الخ.

(٤) أي: فليس ما تطلبونه مما يكون بالقرآن، وإنما يكون بأمر الله تعالى.

(٥) ييأس بمعنى: علم بلغة النخع، والقرآن نزل بلغات العرب، وقيل: لغة هوازن قال شاعرهم:

أقول لهم بالشعب إذ يأسرونني   ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم

عامة فيمن بعد قريش ويكون الوعيد متناولاً أمم الكفر عامة وها هي ذي الحروب تقرعهم كل قرن مرة ومرتين والحرب الذرية على أبوابهم ولا يزال أمرهم كذلك حتى يحل الجيش الإسلامي قريباً من دارهم ليدخلوا في دين الله أو يهلكوا، ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ وقد أنجز ما وعد قريشاً، وفي الآية الأخيرة (٣٢) يخبر تعالى رسوله مسلياً إياه عما يجد من تعب وألم من صلف المشركين وعنادهم فيقول له: ﴿ولقد استهزىء[١] برسل من قبلك﴾ أي كما استهزىء بك فصبروا فاصبر أنت، ﴿فأمليت للذين كفروا﴾ أي أمهلتهم وأنظرتهم حتى قامت الحجة عليهم ثم أخذتهم فلم أبق منهم أحداً ﴿فكيف[٢] كان عقاب﴾ أي كان شديداً عاماً واقعاً موقعه، فكذلك أفعل بمن استهزأ بك يا رسولنا إذالم يتوبوا ويسلموا.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ تقرير التوحيـد.

٢ـ لا توكل إلا على الله، ولا توبة لأحد إلا إليه.

٣ـ عظمة القرآن الكريم وبيان فضله.

٤ـ إطلاق لفظ اليأس[٣] والمراد به العلم.

٥ـ توعد الرب تعالى الكافرين بالقوارع في الدنيا إلى يوم القيامة.

٦ـ الله جل جلاله يملي ويمهل ولكن لا يهمل بل يؤاخذ ويعاقب.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ (٣٣) لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ

---

(١) أي : سُخر بهم أزري عليهم، وذلك كما سخرت قوم نوح بنوح، وعاد بهود وثمود بصالح ومدين بشعيب.

(٢) الاستفهام للعجب.

(٣) في لغة النخع أو هوازن

﴿ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾

شـرح الكلـمات :

أفمن هو قائم[1] على كل نفس بما كسبت : أي حافظها ورازقها وعالم بها وبما كسبت و يجازيها بعملها.

قل سـموهـم : أي صِفُوهم له مَنْ هُم؟

أم تنبئونه بما لا يعلم : أي أتخبـرونه بما لا يعلمه؟

بظاهـر من القول : أي بظـن باطل لا حقيقة له في الواقع.

أشـق : أي أشـد.

واق : أي مانع يمنعهم من العذاب.

مثل الجنـة : أي صفتها التي نقصها عليك.

أكلها دائم وظلها : أي ما يؤكل فيها دائم لا يفنى وظلها دائم لا ينسخ.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في تقرير التوحيد وإبطال التنديد بقوله تعالى: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت[2]﴾ أي حافظها ورازقها وعالم بها وبما كسبت من خير وشر ومجازيها كمن لا يحفظ ولا يرزق ولا يعلم ولا يجزي وهو الأصنام، إذاً فبطل تأليهها ولم يبق إلا الإله الحق الله الـذي لا إلـه إلا هو ولارب سواه، وقـوله تعالى: ﴿وجعلوا لله شركاء﴾ أي

---

(١) ليس القيام هنا ضد القعود بل هو التولّي لأمور الخلق بالحفظ والتدبير.

(٢) الجواب محذوف في الآية، وقد ذكر في التفسير.

يعبدونهم معه ﴿قل سموهم﴾[1] أي قل لهم يا رسولنا سموا لنا تلك الشركاء صفوهم بينوا من هم؟ ﴿أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض﴾[2] أي أتنبئون الله بما لا يعلم في الأرض؟ ﴿أم بظاهر من القول﴾ أي بل بظاهر[3] من القول أي بظن باطل لا حقيقة له في الواقع.

وقوله تعالى: ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ أي قولهم الكاذب وافتراؤهم الماكر فبذلك صدوا[4] عن السبيل سبيل الحق وصرفوا عنه فلم يهتدوا إليه، ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ وقوله تعالى: ﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا﴾ بالقتل والأسر، ﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ أي أشد من عذاب الدنيا مهما كان ﴿وما لهم من الله من واق﴾[5] أي وليس لهم من دون الله من يقيهم فيصرفه عنهم ويدفعه حتى لا يذوقوه، وقوله تعالى: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ أي لما ذكر عذاب الآخرة لأهل الكفر والفجور ذكر نعيم الآخرة لأهل الإيمان والتقوى، فقال: ﴿مثل[6] الجنة التي وعد المتقون﴾ أي صفة الجنة ووصفها بقوله: ﴿تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم[7] وظلها﴾ دائم كذلك فطعامها لا ينفد، وظلها لا يزول ولا ينسخ بشمس كظل الدنيا، وقوله: ﴿تلك﴾ أي الجنة ﴿عقبى الذين اتقوا﴾ أي ربهم فآمنوا به وعبدوه ووحدوه وأطاعوه في أمره ونهيه، ﴿وعقبى[8] الكافرين النار﴾ والعقبى بمعنى العاقبة في الخير والشر.

---

(١) سموهم شركاء فإنهم ليس لهم حظ من ذلك إلاّ التسمية فيكون الأمر للإباحة كناية عن عدم المبالاة بادعائهم أنهم شركاء، وذكر هذا المعنى صاحب التحرير، وهو معنى جميل.

(٢) أم هي المنقطعة ودلّت على أنّ ما بعدها استفهام إنكاري توبيخي، وقوله، ﴿بما لا يعلم في الأرض﴾ وما لا يعلمه الله فليس بموجود إذ الله خالق كل شيء.

(٣) بل بظاهر من القول ليس بظاهر من الظهور بل هو بمعنى الزوال والبطلان وشاهده قول الشاعر، وتلك شكاة ظاهر عليك عارها. أي: باطل زائل.

(٤) إنّ بعض المشركين زيّن للمشركين عبادة الأصنام، ورغّبهم في عبادتها مكراً بهم فانخدعوا له، وحسبوه زيناً وذلك كعمرو بن لحيّ إذ هو أوّل من دعا إلى عبادة الأصنام في بلاد العرب.

(٥) واق، وقاض ووال: يوقف عليها بدون ياء، إلاّ إذا نودي نحو: يا قاضي ياوالي فإنه يوقف عليه بالياء ومن: صلة لتقوية الكلام.

(٦) ﴿مثل الجنة﴾: الخ: مبتدأ والخبر محذوف تقديره فيما يتلى عليكم: مثل الجنة، وقيل الخبر: تجري من تحتها الأنهار. والأوّل أولى.

(٧) في الآية ردّ على الجهمية القائلين بفناء نعيم الجنة.

(٨) أي: عاقبة أمر المكذبين وآخرتهم النار يدخلونها.

هـداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير التوحيد إذ الأصنام لا تحفظ ولا ترزق ولا تحاسب ولا تجزي ، والله هو القائم على كل نفس فهو الإله الحق وما عداه فآلهة باطلة لاحقيقة لها إلا مجرد أسماء .

٢ـ استمرار الكفار على كفرهم هو نتيجة تزيين الشيطان لهم ذلك فصدهم عن السبيل .

٣ـ ميزة القرآن الكريم في الجمع بين الوعد والوعيد إذ بهما تمكن هداية الناس .

وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُواْ اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ الْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾

شرح الكلمـات :

والذين آتيناهم الكتاب : أي كعبد الله بن سلام ومن آمن من اليهود .

يفرحون بما أنزل إليك : أي يُسَرون به لأنهم مؤمنون صادقون ولأنه موافق لما عندهم .

ومن الأحـزاب : أي من اليهود والمشركين .

من ينكر بعضـه : أي بعض القرآن فالمشركون أنكروا لفظ الرحمن وقالوا لا رحمن إلا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب .

وكذلك أنزلناه حكماً عربياً : أي بلسان العرب لتحكم به بينهم.

لكـل أجـل كتاب : أي لكل مدة كتاب كتبت فيه المدة المحددة.

يمحو الله ما يشاء : أي يمحو من الأحكام وغيرها ويثبت ما يشاء فما محاه هو المنسوخ وما أبقاه هو المحكم.

معنى الآيـات:

ما زال السياق في تقرير أصول العقيدة: التوحيد والنبوة والبعث والجزاء، فقوله تعالى: ﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾ كعبد الله بن سلام[1] يفرحون بما أنزل إليك وهو القرآن وفي هذا تقرير للوحي وإثبات له، وقوله: ﴿ومن الأحزاب﴾ ككفار أهل الكتاب[2] والمشركين ﴿من ينكر بعضه﴾ فاليهود أنكروا أغلب ما في القرآن من الأحكام ولم يصدقوا إلا بالقصص، والمشركون أنكروا «الرحمن» وقالوا لا رحمن إلا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب عليه لعائن الله، وقوله تعالى: ﴿قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به﴾ أي أمرني ربي أن أعبده ولا أشرك به، إليه تعالى أدعو الناس أي إلى الإيمان به وإلى توحيده وطاعته، ﴿وإليه مآب﴾[3] أي رجوعي وإيابي وفي هذا تقرير للتوحيد، وقوله تعالى: ﴿وكذلك أنزلناه حكماً عربياً﴾[4] أي وكهذا الإنزال للقرآن أنزلناه بلسان العرب لتحكم بينهم به، وفي هذا تقرير للوحي الإلهي والنبوة المحمدية، وقوله: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم﴾ بأن وافقتهم على مِلَلِهم وباطلهم في اعتقاداتهم، وحاشا رسول الله ﷺ أن يفعل وإنما الخطاب من باب.. إياك أعني واسمعي يا جارة.. ﴿مالك من الله من ولي ولا واق﴾ أي ليس لك من دون الله من ولي يتولى أمر نصرك وحفظك، ولا واق يقيك عذاب الله إذا أراده بك لاتباعك أهل الباطل[5] وتركك الحق وأهله، وقوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا

---

(١) اللفظ عام والمراد به الخصوص، ويدخل فيه أصحاب النبي ﷺ فهم يفرحون بنزول القرآن قاله قتادة. وهو كما قال فقد كانوا يفرحون بكل ما ينزل من وحي.

(٢) لفظ أهل الكتاب يشمل اليهود والنصارى معاً، لفظ البعض عام في القلة والكثرة ولذا فاليهود كالنصارى كالمشركين كالمجوس ينكرون من القرآن ما يتعارض مع معتقداتهم الباطلة ولا ينكرون مالا يتعارض معها.

(٣) أي: ارجع في أموري كلها إليه دون غيره، وفي هذا معنى الاعتماد على الله والتوكل عليه في الأمر كله.

(٤) ﴿حكماً عربياً﴾: حالان من أنزلناه، وقيل: المراد من ﴿حكماً﴾ الحكمة كقوله: ﴿وآتيناه الحكم صبيا﴾ أي: الحكمة، فالقرآن يحوي الحكم المعبر عنها بالعربية وكونه من الحكم أولى لأنه يحكم به في الأمور كلها.

(٥) في الآية إنذار وتحذير عظيمان لمن يترك أوامر الله تعالى أو يغشى محارمه موافقة لأهل الباطل طلباً لرضاهم أو خوفاً من غضبهم.

رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية﴾ فلا معنى لما يقوله المبطلون[1]: لم يتخذ محمد أزواجاً ولم تكون له ذرية؟ وهو يقول أنه نبي الله ورسوله، فإن الرسل قبلك من نوح وإبراهيم إلى موسى وداوود وسليمان الكل كان لهم أزواج وذرية،[2] ولما قالوا ﴿لولا أنزل عليه آية﴾ رد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ فالرسل كلهم مربوبون لله مقهورون لا يملكون مع الله شيئاً فهو المالك المتصرف إن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وقوله: ﴿لكل أجل كتاب﴾ أي لكل وقت محدد يعطي الله تعالى فيه أو يمنع كتاب كتب فيه ذلك الأجل وعُيِّن فلا فوضى ولا أُنُفَ[3]، وقوله: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ ردٌ على قولهم لم يثبت الشيء ثم يبطله كاستقبال بيت المقدس ثم الكعبة وكالعدة من الحول إلى أربعة أشهر وعشرة أيام فأعلمهم أن الله تعالى ذو إرادة ومشيئة لا تخضعان لإرداة الناس ومشيئاتهم فهو تعالى يمحو ما يشاء من الشرائع والأحكام بحسب حاجة عباده ويثبت كذلك ما هو صالح لهم نافع،[4] ﴿وعنده أم الكتاب﴾ أي الذي حوى كل المقادير فلا يدخله تبديل ولا تغيير كالموت والحياة والسعادة والشقاء، وفي الحديث: «رفعت الأقلام وجفت الصحف» رواه مسلم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير عقيدة الوحي والنبوة.

٢- تقرير عقيدة التوحيد.

٣- تقرير أن القضاء والحكم في الإسلام مصدره الأول القرآن الكريم ثم السنة لبيانها للقرآن، ثم القياس المأذون فيه فإجماع الأمة لاستحالة اجتماعها على غير ما يحب الله

---

(١) قيل: إنّ اليهود هم الذين عابوا رسول الله ﷺ على الأزواج وعيروه بذلك فقالوا ما نرى لهذا الرجل همة إلاّ النساء والنكاح، ولو كان نبيّاً لشغله أمر النبوة عن النساء، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وعليه فالآية مدنية.

(٢) في الآية: الترغيب في النكاح والحض عليه، وهو كذلك فقد جاء في السنة قوله ﷺ: (تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة) وفي الموطأ: (من وقاه الله شر اثنين ولج الجنة: ما بين لحييه وما بين رجليه).

(٣) أي: ولابداء، والبداء: أن يبدو له الشيء بعد أن لم يكن يعلمه.

(٤) صح قوله ﷺ: (من سرّه أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أجله فليصل رحمه) فهذا الحديث يفسر قوله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ أي: ما يشاء، وقد تكلّم العلماء في هذا بشيء كثير وما أراه يوضح هذا هو أنّ الله تعالى لما كتب في اللوح المحفوظ كتب أنّ فلاناً يصل رحمه فيكون رزقه كذا سعة ويكون أجله كذا طولا، فصلة الرحم سبب في توسعة الرزق وطول العمر.

تعالى ويرضى به.

٤ـ التحذير من اتباع أصحاب البدع والأهواء والمِلَلْ والنِّحَلْ الباطلة.

٥ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر.

٦ـ بيان النسخ في الأحكام بالكتاب والسنة.

وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

شرح الكلمات:

نعدهم : أي من العذاب.

أو نتوفينك : أي قبل ذلك.

ننقصها من أطرافها : أي بلداً بعد بلد بالفتح ودخول الإسلام فيها وانتهاء الشرك منها.

لا معقب لحكمه : أي لا راد له بحيث لا يتعقب حكمه فيبطل.

ومن عنده علم الكتاب : من مؤمني اليهود والنصارى.

معنى الآيات:

قوله تعالى: ﴿وإما نرينك[1] بعض الذي نعدهم أو نتوفينك﴾أي إن أريتك بعض الذي نعد قومك من العذاب فذاك، وإن توفيتك قبل ذلك فليس عليك إلا البلاغ[2] فقد بلغت وعلينا الحساب فسوف نجزيهم بما كانوا يكسبون، فلا تأس أيها الرسول ولا تضق ذرعاً بمـا يمكـرون، وقـوله: ﴿أو لم يروا﴾ أي المشركون الجاحدون الماكرون المطالبون بالآيات على صدق نبوة نبينا ﴿أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها[3]﴾ أي نفتحها للإسلام بلداً بعد بلد أليس ذلك آية دالة على صدق الرسول ﷺ وصحة دعوته، وقوله: ﴿والله يحكم ولا معقب لحكمـه﴾ أي والله جل جلاله يحكم في خلقه بما يشاء فيعز ويذل ويعطي ويمنع وينصر ويهزم، ولا معقب لحكمه أي ليس هناك من يعقب على حكمه فيبطله فإذا حكم بظهور الإسلام وإدبار الكفر فمن يرد ذلك على الله، وقوله: ﴿وهو سريع الحساب﴾ إذا حاسب على كسب فحسابه سريع يجزي الكاسب بما يستحق دون بطء ولا تراخ وقوله تعالى: ﴿وقد مكر الذين من قبلهم﴾ أي وقد مكرت أقوام قبل قريش وكفار مكة فكيف كان عاقبة مكرهم؟ إنها دمارهم أجمعين، أما يخشى رؤساء الكفر في مكة من عاقبة كهذه؟وقوله: ﴿فلله المكر جميعاً﴾ أي إذاً فلا عبرة بمكرهم ولا قيمة له فلا يرهب ولا يلتفت إليه وقوله: ﴿يعلم ما تكسب كل نفس﴾ من خير وشر فأين مكر من لا يعلم من مكر من يعلم كل شيء فسوف يصل بالممكور به إلى حافة الهلاك وهو لا يشعر، أفلا يعي هذا كفار قريش فيكفوا عن مكرهم برسول الله ودعوته؟ وقوله تعالى: ﴿وسيعلم الكفار لمن[4] عقبى الدار﴾ أي سيعلم المشركون خصوم التوحيد يوم القيامة لمن عقبى الدار أي العاقبة الحميدة لمن دخل الجنة وهو محمد ﷺ وأتباعه أو لمن دخل النار وهم دعـاة الشـرك والكفر وأتباعهم، وقوله تعالى: ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلاً﴾ أي يواجهـونك بالإنكار عليك والجحود لنبوتك ورسالتك قل لهم يا رسولنا الله شهيد بيني

---

(١) ﴿ما﴾ زائدة لتقوية الكلام والأصل وإن نرينك.

(٢) ﴿البلاغ﴾ : التبليغ و﴿الحساب﴾: الجزاء والعقوبة.

(٣) فسّر بعضهم الأطراف بالأشراف، وقال: المراد موت العلماء، وهو تفسير بعيد جداً، وما في التفسير أقرب وأوضح إلى معنى الآية الكريمة، ورد قول من قال هو نقصان الأرض بقول أحدهم لو كانت الأرض تنقص لضاق عليك حشك أي: مكان قضاء حاجتك.

(٤) قرأ نافع ﴿الكافر﴾: بالافراد، وهو اسم جنس بمعنى الجمع، وقرأ الجمهور ﴿الكفار﴾، وقيل المراد بالكافر هنا: أبو جهل، والله أعلم، وفي الآية وعيد وتهديد للكفار مطلقاً.

وبينكم وقد شهد لي بالرسالة وأقسم لي عليها مرات في كلامه مثل ﴿يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين﴾ وكفى بشهادة الله شهادة، ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ الأول التوراة والإنجيل وهم مؤمنوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى كعبد[1] الله بن سلام وسلمان الفارسي والنجاشي وتميم الداري وغيرهم[2].

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- انتصار الإسلام وانتشاره في ظرف ربع قرن أكبر دليل على أنه حق.

٢- أحكام الله تعالى لا ترد، ولا يجوز طلب الاستئناف على حكم من أحكام الله تعالى في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ.

٣- شهادة الله أعظم شهادة، فلا تطلب بعدها شهادة إذا كان الخصام بين مؤمنين.

٤- فضل العالم على الجاهل، إذ شهادة مؤمني أهل الكتاب تقوم بها الحجة على من لا علم لهم من المشركين.

سورة ابراهيم

مكيـــة

وآياتها اثنتان وخمسون آيـة

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾

(١) عبدالله بن سلام كان اسمه في الجاهلية: حصين فسمّاه رسول الله ﷺ عبدالله.

(٢) قال بعضهم: الذي عنده علم الكتاب هو علي رضي الله عنه، ورُدَّ على هذا القول، وقال بعضهم: هم المسلمون، كل ذلك من أجل أن السورة مكية، وهذا غير مانع أن ينزل القرآن بمكة ويظهر تأويله بالمدينة، ولا مانع أن تكون الآية مدنية والسورة مكية، فلهذا ما في التفسير أولى بالقبول.

ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

آلـــــر	: هذا أحد الحروف المقطعة تكتب آلر وتقرأ ألف لَامْ رَا والتفويض فيها أسلم وهو قول الله أعلم بمراده بذلك[1].
كتـــاب	: أي هذا كتاب عظيـم .
أنزلناه إليك	: يا محمد صلى الله عليه وسلم .
مـن الظلمـات	: أي من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان .
العزيز الحميــد	: أي المحمـود بآلائـه .
عن سبيـل الله	: أي الإســلام .
عوجـــاً	: أي معوجَّة .
بآياتنـــا	: أي المعجزات التسع : العصا ، اليد ، الطوفان ، الجراد ، القمل ،

(١) هذا مذهب السلف وهو: تفويض فهم معناها إلى الله تعالى منزلها ويعدونها من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل. وهو أسلم من القول بالإجهاد الفكري

الضفادع، الدم، والطمس والسنين ونقص الثمرات.

وذكرهم بأيام الله : أي ببلائـه ونعمائـه.

معنى الآيـات :

قوله تعالى: ﴿الر﴾ الله أعلم بمراده وقوله: ﴿كتاب أنزلناه﴾ أي هذا كتاب عظيم القدر أنزلناه إليك يا رسولنا لتخرج الناس[1] من الظلمات أي من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم الشرعي، وذلك ﴿بإذن ربهم﴾ أي بتوفيقه ومعونته ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ أي إلى طريق[2] العزيز الغالب الحميد أى المحمود بآلائه وافضالاته على عباده وسائر مخلوقاته ﴿الله[3] الذى له ما في السموات وما في الأرض﴾ خلقا وملكا وتصريفا وتدبيرا، هذا هو الله صاحب الصراط الموصل إلى الإسعاد والإكمال البشري، والكافرون معرضون بل ويصدون عنه فويل لهم من عذاب شديد، الكافرون ﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا﴾[4] أي يفضلون الحياة الدنيا فيعملون للدنيا ويتركون العمل للآخرة لعدم إيمانهم بها ﴿ويصدون﴾ أنفسهم وغيرهم أيضا ﴿عن سبيل الله﴾ أي الإسلام ﴿ويبغونها عوجاً﴾ أي معوجة إنهم يريدون من الإسلام أن يوافقهم فى أهوائهم وما يشتهون حتى يقبلوه ويرضوا به دينا قال تعالى: ﴿أولئك في ضلال بعيد﴾ إنهم بهذا السلوك المتمثل في إيثار الدنيا على الآخرة والصد عن الإسلام، ومحاولة تسخير الاسلام لتحقيق أطماعهم وشهواتهم في ضلال بعيد لا يمكن لصاحبه أن يرجع منه إلى الهدى، وقوله تعالى في الآية (٤) من هذا السياق ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾[5] أي بلغتهم التي يتخاطبون بها ويتفاهمون لحكمة أن يبين لهم، والله بعد ذلك يضل من يشاء إضلاله

---

(١) لتخرج الناس: أي: بالقرآن العظيم الذي أنزلناه عليك.

(٢) الطريق هو الإسلام دين الله الذي لا يقبل دينا غيره.

(٣) قرأ نافع برفع اسم الجلالة، وقرأ الجمهور بالجر، واستحب بعضهم الجر إذا وصل والرفع إذا وقف وهو حسن ومن وصل وقف على وما في الأرض.

(٤) قال ابن عباس وغيره: كل من آثر الدنيا وزهرتها واستحب البقاء في نعيمها على نعيم الآخرة وصد عن سبيل الله أي: صرف نفسه وغيره عن طاعة الله ورسوله فهو داخل في هذه الآية، وهي ذات وعيد شديد.

(٥) لا حجة لغير العرب في هذه الآية إذ كل من ترجم له الإسلام بلغته وجب عليه الدخول فيه والعمل بشرائعه ليكمل ويسعد، وقد استعمرت بريطانيانصف العالم فتكلم الناس بلغتها وتعاملوا بها وهي لغة دنيا لا غير. فالواجب على غير العربي أن يتعلم لغة الإسلام ما أمكنه ذلك.

حسب سنته في الإضلال ويهدي من يشاء كذلك ﴿وهو العزيز﴾ الغالب الذي لا يمانع في شيء أراده ﴿الحكيم﴾[1] الذي يضع كل شيء في موضعه فلذا هو لا يضل إلا من رغب في الإضلال وتكلف له وأحبه وآثره، وتنكر للهدى وحارب المهتدين والداعين إلى الهدى، وليس من حكمته تعالى أن يضل من يطلب الهدى ويسعى إليه ويلتزم طريقه ويحبه ويحب أهله، وقوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا موسى﴾ أي موسى نبي بني إسرائيل ﴿بآياتنا﴾ أي بحججنا وأدلتنا الدالة على رسالته والهادية إلى ما يدعو إليه وهي تسع آيات منها اليد والعصى ﴿أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور﴾[2] أي أخرج قومك من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ﴿وذكرهم بأيام الله﴾[3] أي وقلنا له: ذكرهم بأيام الله وهي بلاؤه ونعمه إذ أنجاهم من عذاب آل فرعون وأنعم عليهم بمثل المن والسلوى، وذلك ليحملهم على الشكر لله بطاعته وطاعة رسوله، وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ أي إن في ذلك التذكير بالبلاء والنعماء لدلالات يستدل بها على إفضال الله وإنعامه الموجب للشكر، ولكن الذين يجدون تلك الدلالات في التذكير هم أهل الصبر والشكر بل هم الكثيروا الصبر[4] والشكر، وأما غيرهم فلا يرى في ذلك دلالة ولا علامة.

هداية الآيـات

مـن هداية الآيات :

١ـ إقامة الحجة على المكذبين بالقرآن الكريم، إذ هو مؤلف من الحروف المقطعة مثل آلر وطسم وآلم وحَم ، ولم يستطيعوا أن يأتوا بمثله بل بسورة مثله . .

٢ـ بيان أن الكفر ظلام والإيمان نور.

٣ـ بيان الحكمة في إرسال الله تعالى الرسل بلغات أقوامهم .

---

(١) من مظاهر حكمته أنه ختم الرسالة برسالة محمد ﷺ، ووواجب على البشرية كلها الإيمان به وبما جاء به ومن أبى دخل النار، فقد روى مسلم قوله ﷺ (والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار). فوحد بذلك البشرية توحيداً روحياً واجتماعياً وسياسياً لو أنها آمنت بمحمد ﷺ وأخذت بهدايته لحصل لها من الكمال والإسعاد ما لم يخطر على بال.

(٢) أن: تفسيرية فسرت الارسال لأنه فيه معنى القول.

(٣) التذكير إزالة نسيان شيء، ويكون بتعليم مجهول كان شأنه أن يعلم، ولما ضمّن التذكير معنى الإنذار والوعظ عدي بالباء أي: ذكّرهم تذكير عظة بأيام الله.

(٤) الصبر مع البلاء، والشكر مع الرخاء، وخير الناس من إذا ابتلى صبر وإذا أعطي شكر ولا يكون كذلك إلاّ ذو علم وبصيرة.

٤ـ تقرير أن الذي يخلق الهداية هو الله وأما العبد فليس له أكثر من الكسب.

٥ـ فضيلة التذكير بالخير والشر ليشكر الله ويتقى.

٦ـ فضيلة الصبر والشكر.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

وإذ قال موسى : أي اذكر إذ قال موسى.

يسومونكم : يذيقونكم.

ويستحيون نساءكم : أي يستبقونهن.

بلاء من ربكم عظيم : أي ابتلاء واختبار، ويكون بالخير والشر.

وإذ تـأذن ربكم : أي أعلـم ربكـم.

بالبيـــنات : بالحجـج الواضحة على صدقهم في دعوة النبوة والتوحيد والبعث الآخـر.

فردوا أيديهم في أفواههم : أي فردِ الأمم أيديهم في أفواههم أي أشاروا إليهم أن اسكتوا.

مريب : مـوقـع في الريبـة.

معنى الآيـات :

﴿وإذ قال موسى لقـومـه﴾ أي اذكـر يا رسولنا إذ قال موسى لقومه من بني إسرائيل ﴿اذكروا نعمة الله عليكم﴾ أي لتشكروها بتوحيده وطاعته، فإن من ذكر شكر وبين لهم نوع النعمة وهي إنجاؤهم من فرعون وملائه إذ كانوا يعذبونهم بالاضطهاد والاستعباد، فقـال: ﴿يسـومـونكم سوء العـذاب﴾ أي يذيقـونكم سوء العذاب وهو أسوأه وأشده، ﴿ويذبحون أبناءكم﴾ أي الأطفال المولودين، لأن الكهنة أو رجال السياسة قالوا لفرعون: لا يبعد أن يسقط عرشك وتزول دولتك على أيدي رجل من بني إسرائيل فأمر بقتل المواليد فور ولادتهم فيقتلون الذكور ويستبقون الإناث للخدمة ولعدم الخوف منهن وهو معنى قوله: ﴿ويستحيون نساءكم﴾ وقوله تعالى: ﴿وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ فهو بالنظر إلى كونه عذابا بلاء بالشر، وفي كونه نجاة منه، بلاء بالخير، وقوله تعالى: ﴿وإذ تأذن[1] ربكم﴾ هذا من قول موسى لبني إسرائيل أي أذكر لهم إذ أعلم ربكم مقسماً لكم ﴿لئن شكـرتم[2]﴾ نعمي بعبادتي وتوحيدي فيها وطاعتي وطاعة رسولي بامتثال الأوامر واجتناب النـواهي ﴿لأزيدنكم﴾ في الإنعـام والإسعـاد ﴿ولئن كفـرتم﴾ فلم تشكـروا نعمي فعصيتموني وعصيتم رسولي أي لأسلبنها منكم وأعذبكم بسلبها من أيديكم ﴿إن عذابي

---

(١) أي: تكلم تكلماً علناً وهو يناجي موسى عليه السلام بجبل الطور وأذّن وتأذن أعلم، ومنه الأذان للصلاة، قال الشاعر:

فلم نشعر بضوء الصبح حتى   سمعنا في مجالسنا الأذينا

(٢) سئل بعض الصالحين عن الشكر لله تعالى فقال: ألاّ تتقوى بنعمه على معاصيه وحكي أن داود عليه السلام أنه قال: أي ربي كيف أشكرك وشكري لك نعمة متجددة منك عليّ؟ قال: «يا داود: الآن شكرتني»، وعليه فالشكر الاعتراف بالنعمة للمنعم ولا يصرفها في غير طاعته.

لشـديد﴾ فاحـذروه واخشوني فيه، وقوله تعالى :﴿وقال موسى﴾ أي لبني إسرائيل ﴿إن تكفـروا أنتم﴾ نعم الله فلم تشكـروهـا بطاعته ﴿ومن في الأرض جميعا﴾ وكفرها من في الأرض جميعاً ﴿فـإن الله لغني﴾ عن سائـر خلقه لا يفتقر إلى أحد منهم[1] ﴿حميد﴾ أي محمود بنعمه على سائر خلقه، وقـولـه : ﴿ألم يأتكم﴾ هذا قول موسى لقـومـه وهو يعظهم ويذكرهم : ﴿ألم يأتكم[2] نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم﴾ أي لا يعلم عددهم ولا يحصيهم[3] ﴿إلا الله﴾ ﴿جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ أي بالحجج والبراهين على صدق دعوتهم وما جاء به من الدين الحق ليعبد الله وحده ويطاع وتطاع رسله فيكمل الناس بذلك ويسعدوا، وقوله : ﴿فردوا أيديهم﴾ أي ردت الأمم المرسل إليهم أيديهم إلى أفواههم تغيظاً على أنبيائهم وحنقاً، أو أشاروا إليهم بالسكوت فأسكتوهم رداً لدعوة الحق التي جاؤوا بها، وقالوا لهم : ﴿إنا كفرنا بما أرسلتم به﴾ أي بما جئتم به من الدين الإسلامي والدعوة إليه، ﴿وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب﴾ أي موقع في الريبة التي هي قلق النفس واضطرابها لعدم سكـونهـا للخبـر الـذي يلقى إليهـا، هذا وما زال السياق طويلاً وينتهي بقوله تعالى : ﴿واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد﴾.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ مشروعية التذكير بنعم الله لنشكر ولا نكفر.

٢ـ وعد الله تعالى بالمزيد من النعم لمن شكر نعم الله عليه.

٣ـ كفر النعـم سبب زوالهـا.

٤ـ بيان غنى الله تعالى المطلق على سائر خلقه فالناس ان شكروا شكروا لأنفسهم وإن كفروا كفروا على أنفسهم أي شكرهم ككفرهم عائد على أنفسهم.

٥ـ التذكير بقصص السابقين وأحوال الغابرين مشروع وفيه فوائد عظيمة.

---

(١) أي : لا يلحقه نقص بكفر الناس ولو كفروا أجمعون.

(٢) صالح لأن يكون من قول موسى عليه السلام، ومن قول الله تعالى تعليماً لرسوله محمد ﷺ.

(٣) ولا يعرف أنسابهم كذلك إلّا الله وفي الحديث : (كذب النسابون إن الله يقول لا يعلمهم إلا الله) قاله لمّا زاد النسابون على معد بن عدنان، وقال : (لا ترفعوني فوق عدنان).

۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

أفي الله شك : أي لا شك في وجود الله ولا في توحيده، إذ الاستفهام إنكاري .

إلى أجل مسمى : أي إلى أجل الموت .

بسلطان مبين : بحجة ظاهرة تدل على صدقكم .

يمن على من يشاء : أي بالنبـوة والرسالة على من يشاء لذلك.

وقد هدانا سبلنـا : أي طـرقه التي عرفناه بها وعرفنا عظيم قدرته وعز سلطانه.

لنخرجنكم من أرضنا : أي من ديارنا أو لتعودون في ديننا.

لمن خاف مقامـي : أي وقوفه بين يدي يوم القيامة للحساب والجزاء.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في ما ذكر به موسى قومه بقوله: ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح...... ﴾ فقوله تعالى: ﴿قالت رسلهم﴾ أي قالت الرسل إلى أولئك الأمم الكافرة ﴿أفي الله شك[1]﴾؟ أي كيف يكـون في توحيد الله شك وهو فاطر السموات والأرض[2]، فخالق السموات والأرض وحده لا يعقل أن يكون له شريك في عبادته، انه لا إله إلا هو وقـولـه: ﴿يدعوكم﴾ إلى الإيمان والعمل الصالح الخالي من الشرك ﴿ليغفر لكم من[3] ذنوبكم﴾ وهو كل ذنب بينكم وبين ربكم من كبائر الذنوب وصغائرها أما مظالم الناس فردوها إليهم تغفر لكم وقوله: ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ أي يؤخر العذاب عنكم لتموتوا بآجالكم المقدرة لكم، وقوله: ﴿قالوا﴾ أي قالت الأمم الكافرة لرسلهم ﴿إن أنتم إلا بشر مثلنا﴾ أي[4] ما أنتم إلا بشر مثلنا، ﴿تريدون أن تصدونا﴾ أي تصرفونا ﴿عما كان يعبـد آباؤنا﴾ من آلهتنا أي أصنامهم وأوثانهم التي يدَّعون أنها آلهة، وقولهم: ﴿فأتونا بسـلطان مبين﴾ قال الكـافرون للرسل ائتونا بسلطان مبين أي بحجة ظاهرة تدل على صدقكم أنكم رسل الله إلينا فأجابت الرسل قائلة ما أخبر تعالى به عنهم بقوله: ﴿قالت لهم رسلهم إن نحن الا بشر مثلكم﴾ أي ما نحن إلا بشر مثلكم فمالا تستطيعونه أنتم لا نستطيعه نحن ﴿ولكن الله يمن على من[5] يشاء﴾ أي إلا أن الله يمن على من يشاء بالنبوة

---

(١) الاستفهام إنكاري أي: لا شك في الله، أي في وجوده، وقدرته وعلمه وحكمته الموجبة لألوهيته، وهي عبادته وحده لا شريك له.

(٢) هذا الوصف الكامل لله وهو مقتضى وجوده وألوهيته عزّ وجل.

(٣) على ما في التفسير (من) للتبعيض، ويصح أن تكون زائدة، والمغفرة لكل الذنوب لأنّ الإسلام يجبّ ما قبله من سائر الذنوب.

(٤) أي: في الهيئة تأكلون كما نأكل وتشربون كما نشرب، وتمرضون، وتصحون مثلنا ولستم ملائكة.

(٥) ومما منّ الله به عليهم، الحكمة والمعرفة والهداية إلى ما يوجب رضاه ومحبّته؟ وقيل: إنّ أعظم ما يمن به الله تعالى على عبده ذكره بأسمائه وصفاته.

فمن علينا بها فنحن ننبئكم بما أمرنا الله ربنا وربكم أن ننبئكم به كما نأمركم وندعوكم لا من تلقاء أنفسنا ولكن بما أمرنا أن نأمركم به وندعوكم إليه، ﴿وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله﴾ أي بإرادته وقدرته فهو ذو الإرادة التي لا تحد والقدرة التي لا يعجزها شيء ولذا توكلنا عليه وحده وعليه ﴿فليتوكل المؤمنون﴾ فإنه يكفيهم كل ما يهمهم، ثم قالت الرسل وهي تعظ أقوامها بما تقدم: ﴿وما لنا ألا نتوكل[1] على الله وقد هدانا سبلنا﴾ أي طرقنا التي عرفناه بها وعرفنا عظمته وعزة سلطانه فأي شيء يجعلنا لا نتوكل عليه وهو القوي العزيز ﴿ولنصبرن على ما آذيتمونا﴾ بألسنتكم وأيديكم متوكلين على الله حتى ينتقم الله تعالى لنا منكم، ﴿وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾ إذ هو الكافل لكل من يثق فيه ويفوض أمره إليه متوكلا عليه وحده دون سواه، وقوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا﴾ هذا إخبار منه تعالى على ما قالت الأمم الكافرة لرسلها: قالوا موعدين مهددين بالنفي والإبعاد من البلاد لكل من يرغب عن دينهم ويعبد غير آلهتهم: ﴿لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا﴾ أي ديننا الذي نحن عليه وهنا أوحى الله تعالى إلى رسله بما أخبر تعالى به: ﴿فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم﴾ قال لنهلكن الظالمين ولم يقل لنهلكنهم إشارة إلى علة الهلاك وهي الظلم الذي هو الشرك والإفساد ليكون ذلك عظة للعالمين، وقوله تعالى: ﴿ذلك﴾ أي الإنجاء للمؤمنين والإهلاك للظالمين[2] جزاء ﴿لمن خاف مقامي[3]﴾ أي الوقوف بين يدي يوم القيامة ﴿وخاف وعيد﴾ على ألسنة رسلي بالعذاب لمن كفر بي وأشرك في عبادتي ومات على غير توبة إليَّ من كفره وشركه وظلمه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بطلان الشك في وجود الله وعلمه وقدرته وحكمته ووجوب عبادته وحده وذلك لكثرة

---

(١) وما: اسم استفهام مبتدأ، وما بعدها في موضع الحال، والتقدير: أي شيء لنا في ترك التوكل على الله؟ والاستفهام انكاري.

(٢) وإسكان الصالحين الأرض بعد إهلاك الظالمين.

(٣) المقام: مصدر ميمي وقوله ﴿مقامي﴾: أي قيامه بين يديّ للحساب، والوعيد هو عذاب النار، وقيل: مقامي: أي قيامي عليه، ومراقبتي له والمعنى إذاً خافني وراقبني، وهو معنى صحيح، والخوف من الله ومراقبته موجبة للصلاح المورث للأرض والدولة لقوله تعالى: ﴿إن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾.

الأدلة وقوة الحجج، وسطوع البراهين.

٢- بيان ما كان أهل الكفر يقابلون به رسل الله والدعاة إليه سبحانه وتعالى وما كانت الرسل ترد به عليهم.

٣- وجوب التوكل على الله تعالى، وعدم صحة التوكل على غيره إذ لا كافي إلا الله.

٤- وجوب الصبر على الأذى في سبيل الله وانتظار الفرج بأخذ الظالمين.

٥- عاقبة الظلم وهي الخسران والدمار لا تتبدل ولا تتخلف وإن طال الزمن.

وَٱسۡتَفۡتَحُواْ
وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ
مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ
وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن
وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ
أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ
مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٨﴾
أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِن يَشَأۡ
يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ
﴿٢٠﴾

شرح الكلمات:

واستفتحوا : أي طلب الرسل الفتح لهم أي النصر على أقوامهم الظالمين.

وخاب : أي خسر وهلك.

كل جبار عنيد : أي ظالم يجبر الناس على مراده عنيد كثير العناد.

من ماء صـديد : أي هو ما يخرج سائلاً من أجواف أهل النار مختلطاً من قيح ودم وعرق.

يتجرعه ولا يكاد يسيغه : أي يبتلعـه مرة بعـد مرة لمـرارته ولا يقارب ازدراده لقبحه ومراراته.

ويأتيه الموت من كل مكان : أي لشدة ما يحيط به من العذاب فكل أسباب الموتِ حاصلة ولكن لا يموت.

أعمالهـم كرمـاد : أي الصالحة منها كصلة الرحم وبر الوالدين وإقراء الضيف وفك الأسير والفاسدة كعبادة الأصنام بالذبح لها والنذر والحلف والعكوف حولها كرماد.

لا يقدرون مما كسبوا على شيء : أي لا يحصلون من أعمالهم التي كسبوها على ثواب وإن قل لأنها باطلة بالشرك.

وما ذلك على الله بعزيز : أي بصعب ممتنع عليه.

معنى الآيـات :

هذا آخر حديث ما ذكر به موسى قومه من أنباء الأمم السابقة على بنى اسرائيل، قال تعالى في الإخبار عنهم: ﴿واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد﴾ أي واستفتح الرسل أي طلبوا من الله تعالى أن يفتح عليهم[1] بنصر على أعدائه وأعدائهم واستجاب الله لهم، ﴿وخاب كل جبار عنيد[2]﴾ أي خسر وهلك كل ظالم طاغ معاند للحق وأهله، وقوله[1]: ﴿من ورائه جهنم[3]﴾ أي أمامه جهنم تنتظره سيدخلها بعد هلاكه ويعطش ويطلب الماء

---

(١) كقولهم: ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾ قالها شعيب والمؤمنون معه، وكان النبي ﷺ يدعو طالباً نصره وهزيمة أعدائه.

(٢) العنيد: المعاند للحق، والجبار: المتعاظم الشديد التكبر، وقيل هو من يجبر الناس على مراده، وهو وصف مذموم لغير الله تعالى.

(٣) لفظ وراء يطلق على ما كان خلفاً وما كان أماماً، لأنّ كل ما ووري أي: استتر فهو وراء. وقوله: ﴿من ورائه جهنم﴾: صفة لجبار عنيد، والوراء مستعمل في معنى ما ينتظره ويحل به من بعد، قال الشاعر:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

أي بعده.

فتسقيه الزبانية ﴿من ماء صديد﴾[1] أي وهو صديد أهل النار وهو ما يخرج من قيح ودم وعرق، ﴿يتجرعه﴾ أي يبتلعه جرعة بعد أخرى لمرارته[2] ﴿ولا يكاد يسيغه﴾ أي يدخله جوفه الملتهب عطشاً لقبحه ونتنه ومرارته وحرارته، وقوله تعالى: ﴿ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت﴾ أي ويأتي هذا الجبار العنيد والذي هو في جهنم يقتله الظمأ فيسقى بالماء الصديد يأتيه الموت لوجود أسبابه وتوفرها من كل مكان إذ العذاب محيط به من فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وما هو بميت لأن الله تعالى لم يشأ ذلك قال تعالى: ﴿لا يموت فيها ولا يحيا﴾ وقال: ﴿لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ ومن وراء ذلك العذاب الذى هو فيه ﴿عذاب﴾ أي لون آخر من العذاب ﴿غليظ﴾ أي شديد لا يطاق، وقوله تعالى: ﴿مثل[3] الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد[4] اشتدت به الريح في يوم عاصف﴾ أي شديد هبوب الريح فيه ﴿لا يقدرون مما كسبوا﴾ أي من أعمال في الدنيا ﴿على شيء﴾ أي من الثواب والجزاء الحسن عليها، هذا مثل أعمالهم الصالحة كأنواع الخير والبر والطالحة كالشرك والكفر وعبادة غير الله مما كانوا يرجون نفعه، الكل يذهب ذهاب رماد حملته الريح وذهبت به، مشتدة في يوم عاصف شديد هبوب الريح فيه.

وقوله تعالى: ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ أي ذلك الذى دل عليه المثل هو الضلال البعيد لمن وقع فيه إذ ذهب كل عمله سدى بغير طائل فلم ينتفع بشيء منه وأصبح من الخاسرين.

وقوله تعالى: ﴿ألم تر[5] أن الله خلق السموات والأرض بالحق﴾ أي ألم تعلم أيها الرسول أن الله خلق السموات والأرض بالحق أي من أجل الإنسان ليذكر الله تعالى ويشكره فإذا تنكر لربه فكفر به وأشرك غيره في عبادته عذبه بالعذاب الأليم الذي تقدم

---

(١) الصديد: المهلة، أي مثل الماء يسيل من الدمل ونحوه والتجرّع: تكلّف الجرع والجرع: بلع الماء.

(٢) روي أن النبي ﷺ قال قوله تعالى ﴿يسقى من ماء صديد يتجرّعه..﴾ قال: (يقرّب إلى فيه فيكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره..) الخ رواه الترمذي واستغربه.

(٣) المثل: الحال العجيبة أي حال أعمالهم كرماد.

(٤) الرماد: ما يبقى من احتراق الحطب والفحم، ضرب الله في هذه الآية مثلاً لأعمال الكفار في أنه يمحقها كما تمحق الريح الشديدة الرماد في يوم عاصف.

(٥) الرؤية هنا: رؤية القلب وهي العلمية.

وصفه في هذا السياق لأن الله تعالى لم يخلق السموات والأرض عبثاً وباطلاً بل خلقهما وخلق ما فيهما من أجل أن يذكر فيهما ويشكر فمن ترك الذكر والشكر عذبه أشد العذاب وأدومه وأبقاه، وقوله تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم﴾[1] أيها الناس المتمردون على طاعته المشركون به ﴿ويأت بخلق جديد﴾ غيركم يعبدونه ويوحدونه ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ أي بممتنع ولا متعذر لأن الله على كل شيء قدير.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- إنجاز وعد الله لرسله في قوله: ﴿فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين﴾ الآية.

٢- خيبة وخسران عامة أهل الشرك والكفر والظلم.

٣- عظم عذاب يوم القيامة وشدته.

٤- بطلان أعمال المشركين والكافرين وخيبتهم فيها إذ لا ينتفعون بشيء منها.

٥- عذاب أهل الكفر والشرك والظلم لازم لأنهم لم يذكروا ولم يشكروا والذكر والشكر علة الوجود كله فلما عبثوا بالحياة استحقوا عذاباً أبدياً.

وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَـٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠

(١) أي: أفضل منكم وأطوع وما في التفسير أدل على المقصود.

بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

وبرزوا لله جميعا[1] : أي برزت الخلائق كلها لله وذلك يوم القيامة.

إنا كنا لكم تبعاً : أي تابعين لكم فيما تعتقدون وتعملون.

فهل أنتم مغنون عنا : أي دافعون عنا بعض العذاب.

ما لنا من محيص : أي من ملجأ ومهرب أو منجا.

لما قضي الأمر : بإدخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

ما أنا بمصرخكم : أي بمغيثكم مما أنتم فيه من العذاب والكرب.

تجري من تحتها الأنهار : أي من تحت قصورها وأشجارها الأنهار الأربعة: الماء واللبن والخمر والعسل.

معنى الآيات :

في هذه الآيات عرض سريع للموقف وما بعده من استقرار أهل النار في النار وأهل الجنة في الجنة يقرر مبدأ الوحي والتوحيد والبعث الآخر بأدلة لا ترد، قال تعالى: ﴿وبرزوا لله جميعاً﴾ أي خرجت البشرية من قبورها مؤمنوها وكافروها صالحوها وفاسدوها ﴿فقال الضعفاء﴾ أي الأتباع ﴿للذين استكبروا﴾ أي الرؤساء والموجهون للناس بما لديهم من قوة وسلطان ﴿إنا كنا لكم تبعا[2]﴾ أي أتباعاً في عقائدكم وما تدينون به، ﴿فهل

---

(١) البروز: الظهور، وهو هنا الخروج من القبور والظهور خارجها للحشر حيث فصل القضاء، ومن هذا قولهم: امرأة برزة أي تظهر للناس.

(٢) ﴿تبعاً﴾: يصح أن يكون مصدرا أي: ذوي تبع، ويجوز أن يكون جمع تابع مثل: حرس وحارس، وخدم وخادم.

أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء﴾؟ أي فهل يمكنكم أن ترفعوا عنا بعض العذاب بحكم تبعيتنا لكم فأجابوهم بما أخبر تعالى به عنهم: ﴿قالوا لو هدانا الله لهديناكم﴾[1] اعترفوا الآن أن الهداية بيد الله وأقروا بذلك، ولكنا ضللنا فأضللناكم ﴿سواء علينا أجزعنا﴾ اليوم ﴿أم صبرنا مالنا من محيص﴾[2] أي من مخرج من هذا العذاب ولا مهرب، وهنا يقوم إبليس خطيبا فيهم[3] بما أخبر تعالى عنه بقوله: ﴿وقال الشيطان﴾ أي إبليس عدو بنى آدم ﴿لما قضي الأمر﴾ بأن أُدخل أهل الجنة الجنة وأدخل أهل النار النار ﴿إن الله وعدكم وعد الحق﴾[4] بأن من آمن وعمل صالحاً مبتعدا عن الشرك والمعاصي أدخله جنته وأكرمه فى جواره، وأن من كفر وأشرك وعصى أدخله النار وعذبه عذاب الهون في دار البوار ﴿ووعدتكم﴾ بأن وعد الله ووعيده ليس بحق ولا واقع ﴿فأخلفتكم﴾ فيما وعدتكم به، وكنت في ذلك كاذباً عليكم مغرراً بكم، ﴿وما كان لي عليكم من سلطان﴾ أي من قوة مادية أكرهتكم بها على اتباعي ولامعنوية ذات تأثير خارق للعادة أجبرتكم بها على قبول دعوتي ﴿إلا أن دعوتكم﴾ أي لكن دعوتكم ﴿فاستجبتم لي﴾ إذاً ﴿فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم﴾ أي بمزيل صراخكم بما أغيثكم به من نصر وخلاص من هذا العذاب ﴿وما أنتم﴾ أيضا ﴿بمصرخي﴾[5]، أي بمغيثيّ ﴿إني كفرت بما أشركتمون من قبل﴾[6] إذ كل عابد لغير الله في الواقع هو عابد للشيطان إذ هو الذي زين له ذلك ودعاه إليه، و﴿إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ أي المشركين لهم عذاب أليم موجع، وقوله تعالى: ﴿وأدخل الذين آمنوا﴾[7] أي وأدخل الله الذين آمنوا أي صدّقوا بالله وبرسوله وبما جاء به رسوله ﴿وعملوا الصالحات﴾ وهي العبادات التي تَعَبَّدَ الله بها عباده فشرعها

---

(١) أي: لو هدانا الله إلى الإيمان لهديناكم إليه أو لو هدانا الله إلى طريق الجنة لهديناكم إليها.

(٢) المحيص: مصدر ميمي كالمغيث والمشيب من غاب وشاب، وكذلك حاص يحيص حيصاً عن كذا: هرب ونجا، ويجوز أن يكون المحيص هنا اسم مكان أي: ما لنا من مكان نلجأ إليه وننجو فيه.

(٣) أي: على منبر من نار.

(٤) ﴿وعد الحق﴾: يعني البعث والجنة والنار، وثواب المطيع وعقاب العاصي. فصدقكم وعده، ووعدتكم ألا بعث ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب. فأخلفتكم.

(٥) (الصارخ): والمستصرخ هو الذي يطلب النصر والمعاونة، المصرخ هو المغيث قال الشاعر:

ولا تجزعوا إني لكم غير مصرخ   وليس لكم عندي غَنَاءٌ ولا نصر

(٦) ﴿بما أشركتمونِ﴾: الميم مصدرية والتقدير كفرت بإشراككم إيّاي مع الله تعالى.

(٧) لمّا أخبر تعالى بحال أهل النار أخبر بحال أهل الجنة وهو أسلوب الترغيب والترهيب الذي امتاز به القرآن الكريم لأنّه كتاب هداية وإصلاح.

في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ﴿جنات﴾[1] بساتين ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ أي من خلال قصورها وأشجارها أنهار الماء واللبن والخمر والعسل ﴿خالدين فيها﴾ لا يخرجون منها ولا يبغون عنها حولاً، وقوله تعالى: ﴿بإذن ربهم﴾[2] أي أن ربهم هو الذي أذن لهم بدخولها والبقاء فيها أبداً، وقوله: ﴿تحيتهم فيها سلام﴾ أي السلام عليكم يحييهم ربهم وتحييهم الملائكة ويحيي بعضهم بعضا بالسلام وهي كلمة دعاء بالسلامة من كل العاهات والمنغصات وتحية بطلب الحياة الأبدية.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان أن التقليد والتبعية لا تكون عذراً لصاحبها عند الله تعالى.

٢- بيان أن الشيطان هو المعبود من دون الله تعالى إذ هو الذي دعا إلى عبادة غير الله وزينها للناس.

٣- تقرير لعلم الله بما لم يكن كيف يكون إذ ما جاء في الآيات من حوار لم يكن بعد ولكنه في علم الله كائن كما هو وسوف يكون كما جاء في الآيات لا يتخلف منه حرف واحد.

٤- وعيد الظالمين بأليم العذاب.

٥- العمل لا يُدخل الجنة إلا بوصفه سبباً لا غير، وإلا فدخول الجنة يكون بإذن الله تعالى ورضاه.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾

---

(١) ﴿جنات﴾: جمع جنة، وجنّات: منصوب على نزع الخافض أي: في جنات لأنّ دخل كخرج لا يتعدى إلا بحرف الجر.

(٢) أي: بمشيئته وتيسيره.

تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات:

كلمة طيبة : هي لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كشجرة طيبة : هي النخلة.

كلمة خبيثة : هي كلمة الكفر.

كشجرة خبيثة : هي الحنظل.

اجتثت : أي اقتلعت جثتها أي جسمها وذاتها.

بالقول الثابت : هو لا إله إلا الله.

وفي الآخرة : أي في القبر فيجيب الملكين عما يسألانه عنه حيث يسألانه عن ربه ودينه ونبيه.

بدلوا نعمة الله كفراً : أي بدلوا التوحيد والاسلام بالجحود والشرك.

دار البوار : أي جهنم.

وجعلوا لله أندادا : أي شركاء.

معنى الآيـات :

الآيات في تقرير التوحيد والبعث والجزاء، قوله تعالى: ﴿ألم تر﴾ أيها الرسول أي ألم تعلم ﴿كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة﴾[1] هي كلمة الإيمان يقولها المؤمن ﴿كشجرة طيبة﴾ وهي النخلة[2] ﴿أصلها ثابت﴾ في الأرض ﴿وفرعها﴾ عال ﴿في السماء﴾، ﴿تؤتي أكلها﴾ تعطي أكلها أي ثمرها الذي يؤكل منها كل حين بلحا وبُسْراً ومُنَصَّفاً ورطباً وتمراً وفي الصباح والمساء ﴿بإذن ربها﴾ أي بقدرته وتسخيره فكلمة الإيمان لا إله إلا الله محمد رسول الله تثمر للعبد أعمالاً صالحة كل حين فهي في قلبه والأعمال الصالحة الناتجة عنها ترفع إلى الله عز وجل، وقوله تعالى: ﴿ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾ أي كما ضرب هذا المثال للمؤمن والكافر في هذا السياق يضرب الأمثال للناس مؤمنهم وكافرهم لعلهم يتذكرون أي رجاء أن يتذكروا فيتعظوا فيؤمنوا ويعملوا الصالحات فينجوا من عذاب الله، وقوله: ﴿ومثل كلمة خبيثة﴾ هي كلمة الكفر في قلب الكافر ﴿كشجرة خبيثة﴾ هي الحنظل مُرَّة ولا خير فيها ولا أصل لها ثابت ولا فرع لها في السماء ﴿اجتثت﴾ أي اقتلعت واستؤصلت ﴿من فوق الأرض مالها من قرار﴾ أي لاثبات لها ولا تثمر إلا ما فيها من مرارة وسوء طعم وعدم بركة وقوله تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ هذا وعد من الله تعالى لعباده المؤمنين الصادقين بأنه يثبتهم على الإيمان مهما كانت الفتن والمحن حتى يموتوا على الإيمان ﴿وفي الآخرة﴾ أي في القبر إذ هو عتبة الدار الآخرة عندما يسألهم[3] الملكان عن الله وعن الدين والنبي من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ فيثبتهم بالقول الثابت وهو الإيمان وأصله لا إله إلا الله محمد رسول الله والعمل الصالح الذي هو الإسلام وقوله تعالى: ﴿ويضل الله الظالمين﴾ مقابل هداية المؤمنين فلا يوفقهم للقول الثابت حتى يموتوا على الكفر فيهلكوا ويخسروا، وذلك

(١) الكلمة الطيبة هي لا إله إلا الله، والشجرة الطيبة هي المؤمن، والشجرة المضروب بها المثل هي النخلة، وفي الحديث الصحيح: (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المؤمن خبروني ما هي؟ قال: هي النخلة) وورد: (مثل المؤمن كالنخلة إن صاحبته نفعك، وإن جالسته نفعك، وإن شاورته نفعك كالنخلة كل شيء منها ينتفع به).

(٢) وورد أكرموا عمتكم النخلة، ومن وجه شبهها بالمؤمن أنها برأسها تبقى، وبقلبها تحيا وفي اللقاح ورائحة طلع ذكرها كرائحة المني، وقيل: إنها خلقت من فضلة طينة آدم التي خلق منها، فهي لذا عمة بني آدم.

(٣) روى النسائي عن البراء قال: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ نزلت في عذاب القبر، يقال: من ربك فيقول ربي الله وديني دين محمد ﷺ.

لإصـرارهم على الشرك ودعوتهم إليه وظلم المؤمنين وأذيتهم من أجل إيمانهم، وقوله تعالى: ﴿ويفعل الله ما يشاء﴾ تقرير لإرادته الحرة فهو عز وجل يثبت من يشاء ويضل من يشاء فلا اعتراض عليه ولا نكير مع العلم أنه يهدي ويضل بحكم عالية تجعل هدايته كإضلاله رحمة وعدلاً.

وقوله تعالى: ﴿ألم تر﴾ أي ألم ينته إلى علمك أيها الرسول ﴿إلى الذين بدلوا نعمة الله﴾ التي هي الإسلام الذي جاءهم به رسول الله بما فيه من الهدى والخير فكذبوا رسول الله وكـذبـوا بمـا جاء به ورضوا بالكفر وأنزلوا بذلك قومهم الذين يحثونهم على الكفر ويشجعـونهم على التكـذيب أنزلوهم[1] ﴿دار البوار﴾[2] فهلك من هلك في بدر كافراً الى جهنم، ودار البوار هي جهنم يصلونها أي يحترقون بحرها ولهيبها ﴿وبئس القرار﴾ أي المقر الذي أحلوا قومهم فيه، وقوله تعالى: ﴿وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله﴾ أي جعل أولئك الذين بدلوا نعمة الله كفراً وهم كفار مكة لله أنداداً أي شركاء عبدوها وهي اللاَّتَ والعُزَّى وهُبل ومَناة وغيرها من آلهتهم الباطلة، جعلوا هذه الأنداد ودعوا إلى عبادتها ليضلوا ويضلوا غيرهم عن سبيل الله التي هي الإسلام الموصل إلى رضا الله تعالى وجواره الكـريم، وقـولـه تعـالى: ﴿قل تمتعوا﴾[3] أي بما أنتم فيه من متاع الحياة الدنيا ﴿فإن مصيركم﴾ أي نهاية أمركم ﴿إلى النار﴾ حيث تصيرون إليها بعد موتكم إن أصررتم على الشرك والكفر حتى متم على ذلك.

هداية الآيـات

من هـداية الآيـات:

١ـ استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان.

٢ـ المقارنة بين الإيمان والكفر، وكلمة التوحيد وكلمة الكفر وما يثمره كل واحد من هذه الأصناف من خير وشر.

---

(١) هذه الآية نزلت في قريش، وقيل: في هلكى بدر، وقيل: في متنصِّرة العرب: جبلة بن الأيهم وأصحابه، والظاهر أنها عامة في كل من كفر بالله ورسوله وحاد عن سبيلهما، وقال الحسن: إنها عامة في جميع المشركين.

(٢) ﴿البوار﴾: الهلاك.

(٣) الأمر للتهديد والوعيد، وفي اللفظ إشارة إلى قلّة ما في الدنيا من ملاذ مع سرعة زوالها ولزوم انقطاعها.

٣ـ بشرى المؤمن بتثبيت الله تعالى له على إيمانه حتى يموت مؤمناً وبالنجاة من عذاب القبر حيث يجيب منكراً ونكيراً على سؤالهما إياه بتثبيت الله تعالى له.

٤ـ الأمر في قوله تعالى تمتعوا ليس للإباحة ولا للوجوب وإنما هو للتهديد والوعيد.

قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾

شرح الكلمات:

لا بيع فيه ولا خلال : هذا يوم القيامة لا بيع فيه ولا فداء ولا مخالة تنفع ولا صداقة.

الفلك : أي السفن فلفظ الفلك دال على متعدد ويذكر ويؤنث.

دائبين : جاريين في فلكهما لا يفتران أبداً حتى نهاية الحياة الدنيا.

لظلوم كفار : كثير الظلم لنفسه ولغيره، كفار عظيم الكفر هذا ما لم يؤمن ويهتد فإن آمن واهتدى سلب هذا الوصف منه.

معنى الآيات:

لما أمر الله تعالى رسوله أن يقول لأولئك الذين بدلوا نعمة الله كفراً ﴿قل تمتعوا فإن

مصيركم إلى النـار﴾ أمـر رسوله أيضاً أن يقول للمؤمنين .. يقيموا الصلاة وينفقوا من أموالهم سراً وعلانية ليتقوا بذلك عذاب يوم القيامة الذي توعد به الكافرين فقال: ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة﴾[1] أي يؤدوها على الوجه الذي شرعت عليه فيتموا ركوعها وسجـودها ويؤدوها في أوقاتها المعينة لها وفي جماعة وعلى طهارة كاملة مستقبلين بها القبلة حتى تثمر لهم زكاة أنفسهم وطهارة أرواحهم ﴿وينفقوا﴾[2] ويوالوا الإنفاق في كل الأحيان ﴿سراً وعلانية﴾، ﴿من قبل أن يأتي يوم﴾ وهو يوم القيامة ﴿لا بيع فيه ولا خلال﴾[3] لا شراء فيحصل المرء على ما يفدي به نفسه من طريق البيع، ولا خلة أي صداقة تنفعه ولا شفاعة إلا بإذن الله تعالى.

وقـولـه تعـالى: ﴿الله[4] الذي خلق السماوات والأرض﴾ أي انشأهما وابتدأ خلقهما ﴿وأنزل من السـماء ماء﴾ هو ماء الأمطار ﴿فأخرج به من الثمرات﴾ والحبوب ﴿رزقاً لكم﴾[5] تعيشون به وتتم حياتكم عليه ﴿وسخر لكم الفلك﴾[6] أي السفن ﴿لتجري في البحر بأمره﴾ أي بإذنه وتسخيره تحملون عليها البضائع والسلع من إقليم إلى إقليم وتركبونها كذلك ﴿وسخر لكم الأنهار﴾ الجارية بالمياه العذبة لتشربوا وتسقوا مزارعكم وحقولكم ﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين﴾[7] لا يفتران أبداً في جريهما وتنقلهما في بروجهما لمنافعكم التي لا تتم إلا على ضوء الشمس وحرارتها ونور القمر وتنقله في منازله ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ الليل لتسكنوا فيه وتستريحوا والنهار لتعملوا فيه وتكسبوا أرزاقكم ﴿وآتاكم من كل ماسألتموه﴾[8] مما أنتم في حاجة إليه لقوام حياتكم، هذا هو الله المستحق لعبادتكم

---

(١) هي الصلوات الخمس: الصبح، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء.

(٢) هي الزكاة ويدخل معها صدقة التطوع، إذ الكلّ انفاق، والسرية غالباً هي صدقة التطوع والعلانية هي الزكاة المفروضة

(٣) ﴿الخلال﴾ جمع خلّة كقُلة وقلال، وهي المودة والصداقة والمنفي هنا هو آثارها بالنفع بالإرفاد والاسعاف بالثواب.

(٤) هذا استئناف واقع موقع الاستدلال على بطلان الشرك ووجوب التوحيد وما يترتب على ذلك من سعادة الموحدين وشقاء المشركين.

(٥) الرزق: القوت، وهو كل ما يقتات به من أنواع الحبوب والخضر والفواكه واللحوم.

(٦) التسخير هو التذليل والتطويع، وهو كناية عن كون الشيء قابلا للتصرف فيه.

(٧) الدّؤوب: مرور الشيء في العمل على عادة جارية لا تختلف وفعله: دأب يدأب دؤوبا على الشر: إذا استمر عليه ولم يقطعه.

(٨) ﴿من كل ما سألتموه﴾ أي: من كل مسؤول سألتموه شيئاً فحذف مسؤول لدلالة الكلام عليه، والمقابل محذوف أي: ومن كل ما لم تسألوه، فإنّ هناك أشياء لم يسألها الإنسان، وأعطاه الله تعالى إيّاها، وهذا الحذف كقوله: ﴿سرابيل تقيكم الحر..﴾ وسرابيل تقيكم البرد: فحذف.

رغبة فيه ورهبة منه، هذا هو المعبود الحق الذي يجب أن يعبد وحده لا شريك له وليس تلك الأصنام والأوثان التي تعبدونها وتدعون إلى عبادتها حتى حملكم ذلك على الكفر والعناد بل والظلم والشر والفساد.

وقوله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾[1] أي بعد أن عدد الكثير من نعمه أخبر أنه لا يمكن للإنسان أن يعد نعم الله عليه ولا أن يحصيها عداً بحال من الأحوال، وقرر حقيقة في آخر هذه الموعظة والذكرى وهي أن الإنسان إذا حُرم الإيمان والهداية الربانية ﴿ظلوم﴾ أي كثير الظلم كفور كثير الكفر عظيمه، والعياذ بالله تعالى من ذلك.

هداية الآيات

من هداية الآيـات:

١ـ وجوب إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإكثار من الصدقات لاتقاء عذاب النار.

٢ـ جواز صدقة العلن كصدقة السر وإن كانت الأخيرة أفضل.

٣ـ التعريف بالله عز وجل إذ معرفة الله تعالى هي التي تثمر الخشية منه تعالى.

٤ـ وجوب عبادة الله تعالى وبطلان عبادة غيره.

٥ـ وصف الإنسان بالظلم والكفر وشدتهما ما لم يؤمن ويستقيم على منهج الإسلام.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ

---

(١) الإحصاء: ضبط العدد، وهو مشتق من الحصا إسماً للعدد، وهو منقول من الحصى وهي صغار الحجارة إذ كانوا يعدون الأعداد الكبيرة بها.

تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾

شرح الكلمات :

هذا البلد آمنا : أي اجعل مكة بلداً آمناً يأمن كل من دخله .

واجنبني : بَعِّدْني .

أن نعبد الأصنام : عن أن نعبد الأصنام .

أضللن كثيراً من الناس : أي بعبادتهم لها .

من تبعني فإنه مني : أي من اتبعني على التوحيد فهو من أهل ملتي وديني .

من ذريتي : أي من بعض ذريتي وهو اسماعيل عليه السلام وأمه هاجر .

بواد غير ذي زرع : أي مكة إذ لا مزارع فيها ولا حولها يومئذ .

تهوي إليهم : تَحِنُّ إليهم وتميل رغبة في الحج والعمرة .

على الكبر إسماعيل واسحق : أي مع الكبر إذ كانت سنه يومئذ تسعاً وتسعين سنة وولد له إسحق وسنه مائة واثنتا عشرة سنة .

ولوالدي : هذا قبل أن يعرف موت والده على الشرك .

يوم يقوم الحساب : أي يوم يقوم الناس للحساب .

معنى الآيات :

مازال السياق في تقرير التوحيد والنبوة والبعث والجزاء وقد تضمنت هذه الآيات ذلك ،

فقوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم﴾ أي اذكر إذ قال إبراهيم فكيف يذكر ما لم يوح الله تعالى إليه بذلك ففسر هذا نبوة رسول الله ونزول الوحي إليه، وقوله: ﴿رب اجعل هذا البلد آمنا﴾ إي ذا أمن فيأمن من دخله على نفسه وماله والمراد من البلد مكة.

وقوله: ﴿واجنبني[1] وبني أن نعبد الأصنام﴾ فيه تقرير للتوحيد الذي هو عبادة الله وحده ومعنى اجنبني ا بعدني أنا وأولادي وأحفادي وقد استجاب الله تعالى له فلم يكن في أولاده وأولاد أولاده مشرك، وقوله: ﴿رب إنهن أضللن كثيراً من الناس﴾[2] تعليل لسؤاله ربه أن يجنبه وبنيه عبادتها، واضلال الناس كان بعبادتهم لها فضلوا في أودية الشرك، وقوله: ﴿فمن تبعني﴾ أي من أولادي ﴿فإنه مني﴾ أي على ملتي وديني، ﴿ومن عصاني﴾ فلم يتبعني على ملة الإسلام إن تعذبه فذاك وإن تغفر له ولم تعذبه ﴿فإنك غفور[3] رحيم﴾، وقوله: ﴿ربنا إني اسكنت من ذريتي﴾[4] أي من بعض ذريتي وهو اسماعيل مع أمه هاجر ﴿بواد غير ذي زرع﴾ هو مكة إذ ليس فيها ولا حولها زراعة يومئذ وإلى آماد بعيدة وأزمنة عديدة ﴿عند بيتك المحرم﴾ قال هذا بإعلام من الله تعالى له أنه سيكون له بيت في هذا الوادي ومعنى المحرم أي الحرام وقد حرمه تعالى فمكة حرام إلى يوم القيامة لا يُصاد صيدها ولا يُختلي خلاها ولا تُسفك فيها دماء ولا يحل فيها قتال، وقوله: ﴿ربنا ليقيموا الصلاة[5] فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم﴾ هذا دعاء بأن ييسر الله تعالى عيش سكان مكة ليعبدوا الله تعالى فيها بإقام الصلاة، فإن قلوب بعض الناس عندما تهفوا الى مكة وتميل إلى الحج والعمرة تكون سبباً في نقل الأرزاق والخيرات إلى مكة، وقوله: ﴿وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ دعاء آخر بأن يرزق الله بنيه من الثمرات ليشكروا الله تعالى على ذلك فوجود الأرزاق والثمرات موجبة للشكر، إذ النعم تقتضي

---

(١) أي: اجعلني جانباً عن عبادتها، وبنيه من صلبه وكانوا ثمانية: فما عبد منهم أحد صنماً قط. كان ابراهيم التميمي يقول: من يأمن البلاء بعد الخليل حتى يقول: واجنبني وبني أن نعبد الأصنام.

(٢) نسب الإضلال إليهن وهن جمادات لا يفعلن شيئا: لأنهن السبب في الإضلال..

(٣) فوّض الأمر لربه إن شاء غفر لمن عصاه رحمة، وإن شاء عذّبه. وقيل: قال ابراهيم هذا قبل أن يعلم أن الله لا يغفر الشرك لأصحابه.

(٤) ذكر البخاري قصّة إسكان ابراهيم عليه السلام هاجر مكة، بالتفصيل فليرجع إليها ومن في قوله: ﴿من ذريتي﴾ للتبعيض إذ لم يسكن مكة إلاّ إسماعيل وباقي أولاده كانوا بالشام.

(٥) خصّ الصلاة بالذكر لأنها العبادة التي تشتمل على الذكر والشكر، وهي علّة الحياة وسرّ هذا الوجود والكلام في قوله ﴿ليقيموا الصلاة﴾ لام كي: التعليلية والفعل متعلق بأسكنت أي: أسكنتهم بمكة ليقيموا الصلاة فيها.

شكراً، وقوله: ﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء﴾ أراد به أن ما سأل ربه فيه من كل ما سأل انما هو من باب إظهار العبودية لله والتخشع لعظمته والتذلل لعزته والافتقار الى ما عنده، وإلا فالله أعلم بحاله وما يصلحه هو وبنيه، وما هم في حاجة إليه لأنه تعالى يعلم كل شيء ولا يخفى[1] عنه شيء في الأرض ولا في السماء.. وقوله: ﴿الحمد الله الذي وهب لي على الكبر[2] اسماعيل واسحق إن ربي لسميع الدعاء﴾ أراد به حمد الله وشكره على ما أنعم به عليه حيث رزقه اسماعيل واسحق على كبر سنه، والاعلام بأن الله تعالى سميع دعاء من يدعوه وينيب إليه، وقوله: ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي﴾ أيضاً من يقيم الصَّلاة، لأن الصلاة هي علة الحياة كلها إذ هي الذكر والشكر فمتى أقام العبد الصلاة فأداها بشروطها وأركانها كان من الذاكرين الشاكرين، ومتى تركها العبد كان من الناسين الغافلين وكان من الكافرين، وأخيرا ألحَّ على ربه في قبول دعائه وسأل المغفرة له ولوالديه[3] وللمؤمنين يوم يقومُ[4] الناس للحساب وذلك يوم القيامة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ فضل مكة وشرفها وأنها حرم آمن أي ذو أمن.

٢ـ الخوف من الشرك لخطره وسؤال الله تعالى الحفظ من ذلك.

٣ـ علاقة الإيمان والتوحيد أولى من علاقة الرحم والنسب.

٤ـ أهمية إقام الصلاة وأن من لم يرد أن يصلي لا حق له في الغذاء ولذا يُعدم إن أصر على ترك الصلاة.

---

(١) قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إنك تعلم ما أخفي وما أعلن﴾ أي: من الوجد بإسماعيل وأمّه حيث أُسكنا بواد غير ذي زرع، والوجد: الحزن.

(٢) قيل: ولدله اسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة. قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) استغفر عليه السلام لوالديه قبل أن يتبيّن له عداوة أبيه آزر لله تعالى فلمّا تبيّن له أنه عدو لله تبرأ منه، كما تقدم في سورة التوبة، كما جاء فيها: ﴿فلما تبيّن له أنه عدو لله تبرأ منه﴾ فلذا لا يجوز الاستغفار لمن مات مشركاً، كما لا يجوز الصلاة عليه إذا مات إجماعاً.

(٤) نسبة القيام إلى الحساب كقولهم: قامت الحرب على ساق: يعنون اشتداد الأمر، وصعوبة الحال.

٥ـ بيان استجابة دعاء ابراهيم عليه السلام فيما سأل ربه تعالى فيه .

٦ـ وجوب حمد الله وشكره على ما ينعم به على عبده .

٧ـ مشروعية الاستغفار للنفس وللمؤمنين والمؤمنات .

٨ـ تقرير عقيدة البعث والحساب والجزاء .

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

عما يعمل الظالمون : أي المشركون من أهل مكة وغيرهم .

ليوم تشخص فيه الأبصار : أي تنفتح فلا تغمض لشدة ما ترى من الأهوال .

مهطعين مقنعي رؤوسهم : أي مسرعين إلى الداعي الذي دعاهم إلى الحشر، رافعي رؤوسهم .

وأفئدتهم هواء	: أي فارغة من العقل لشدة الخوف والفزع .
نجب دعوتك	: أي على لسان رسولك فنعبدك ونوحدك ونتبع الرسل .
ما لكم من زوال	: أي عن الدنيا إلى الآخرة .
وقد مكروا مكرهم	: أي مكرت قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه .
وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال	: أي لم يكن مكرهم بالذي تزول منه الجبال فإنه تافه لا قيمة له فلا تعبأ به ولا تلتفت اليه .

معنى الآيـات :

في هذا السياق الكريم تقوية رسول الله ﷺ وحمله على الصبر ليواصل دعوته إلى ربه إلى أن ينصرها الله تعالى وتبلغ المدى المحدد لها والأيام كانت صعبة على رسول الله وأصحابه لتكالب المشركين على أذاهم، وازدياد ظلمهم لهم فقال تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ من قومك إنه إن لم ينزل بهم نقمته ولم يحل بهم عذابه إنما يريد أن يؤخرهم ﴿ليوم تشخص[1] فيه الأبصار﴾ أي تنفتح فلا تغمض ولا تطرف لشدة الأهوال وصعوبة الأحوال، ﴿مهطعين[2]﴾ أي مسرعين ﴿مقنعي رؤوسهم[3]﴾ أي حال كونهم مهطعين مقنعي رؤوسهم أي رافعين رؤوسهم مسرعين للداعي الذى دعاهم إلى المحشر، قال تعالى: ﴿واستمع يوم يناد المنادي من مكان قريب﴾ ﴿لا يرتد إليهم طرفهم[4]﴾ أي لا تغمض أعينهم من الخوف ﴿وأفئدتهم﴾ أي قلوبهم ﴿هواء﴾ أي[5]

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: تشخص أبصار الخلائق يومئذ إلى الهواء لشدة الحيرة فلا يرمضون، وفعل الشخوص: شخص يشخص البصر: إذا سما وطمح من الخوف.

(٢) ﴿مهطعين﴾ اسم فاعل من اهطع يهطع إهطاعاً فهو مهطع إذا أسرع ومنه قوله تعالى: ﴿مهطعين إلى الداعي﴾ أي: مسرعين، قال الشاعر:

بدجلة دارهم ولقد أراهم   بدجلة مهطعين إلى السماع

والمهطع أيضاً من ينظر في ذل وخشوع.

(٣) ﴿مقنعي﴾ الإقناع: رفع الرأس ومنه الإقناع في الصلاة وهو مكروه وقد يطلق الإقناع أيضاً على تنكيس الرأس، يقال: أقنع رأسه: إذا طأطأه أو رفعه، واللفظ يحتمل الوجهين.

(٤) الطرف: العين، قال الشاعر:

وأغمض طرفي ما بدت لي جارتي   حتى يواري جارتي ماواها

يقال: طرف يطرف طرفاً إذا أطبق جفنه على الآخر، ولم يطرف: إذا فتح عينه ولم يغمضها.

(٥) هي كالهواء في الخلو من الإدراك لشدة الهول، والهواء: الخلاء.

فارغة من الوعي والادراك لما أصابها من الفزع والخوف ثم أمر تعالى رسوله في الآية (٤٤) بإنذار الناس مخوفاً لهم من عاقبة أمرهم إذا استمروا على الشرك بالله والكفر برسوله وشـرعـه، ﴿يوم يأتيهم العـذاب فيقـول الذين ظلموا﴾ أي أشركوا بربهم، وآذوا عباده المؤمنين ﴿ربنا أخرنا إلى أجل قريب﴾ أي يطلبون الإنظار والإمهال ﴿نجب دعوتك﴾ أي نوحدك ونطيعك ونطيع رسولك، فيقال لهم: توبيخاً وتقريعاً وتكذيباً لهم: ﴿أو لم تكونوا أقسمتم﴾ أي حلفتم ﴿من قبل ما لكم من زوال﴾ أي أطلبتم الآن التأخير ولم تطلبوه عندما قلتم ما لنا من زوال ولا ارتحال من الدنيا الى الآخرة، ﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ بالشرك والمعاصي ﴿وتبين لكم﴾ أي عرفتم ﴿كيف فعلنا بهم﴾ أي بإهلاكنا لهم وضربنا لكم الأمثال في كتبنا وعلى ألسنة رسلنا فيوبخون هذا التوبيخ ولا يجابون لطلبهم ويقذفون في الجحيم، وقوله تعالى: ﴿وقد مكروا مكرهم﴾ أي وقد مكر كفار قريش برسول الله ﷺ حيث قرروا حبسه مغللاً في السجن حتى الموت أو قتله، أو نفيه وعـزموا على القتل ولم يستطيعوه ﴿وعند الله مكرهم﴾ أي علمه وما أرادوا به، وجزاؤهم عليه، وقوله: ﴿وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾[1] أي ولم يكن مكرهم لتزول منه الجبال فإنه تافه لا وزن له ولا اعتبار فلا تحفل به أيها الرسول ولا تلتفت، فإنه لا يحدث منه شيء، وفعلاً قد خابوا فيه أشد الخيبة.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ تأخير العذاب عن الظلمة في كل زمان ومكان لم يكن غفلة عنهم، وإنما هو تأخيرهم إلى يوم القيامة أو إلى أن يحين الوقت المحدد لأخذهم.

٢ـ بيان أهوال يوم القيامة وصعوبة الموقف فيه حتى يتمنى الظالمون الرجوع الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا ويوحدوا ربهم في عبادته.

٣ـ التنديد بالظلم وبيان عقاب الظالمين بذكر أحوالهم.

(١) قرىء: ﴿لتزول﴾ بفتح اللام الأولى وضم الآخرة لتزول، وإن مخففة من الثقيلة، واللام لام الابتداء، ومعنى الآية: استعظام مكرهم حتى لتكاد الجبال تزول منه، وما في التفسير من قراءة وتوجيه هو الذي رجّحه ابن جرير الطبري. هنا ذكر القرطبي بإسهاب قصّة النمرود الجبار الذي حاج ابراهيم عليه السلام، ولا طائل تحتها.

٤- تقرير جريمة قريش في ائتمارها على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾

شرح الكلمات :

إن الله عزيز : أي غالب لا يحال بينه وبين مراده بحال من الأحوال.

ذو انتقام : أي صاحب انتقام ممن عصاه وعصى رسوله.

يوم تبدل الأرض : أي اذكر يا رسولنا للظالمين يوم تبدل الأرض.

وبرزوا لله : أي خرجوا من القبور لله ليحاسبهم ويجزيهم.

مقرنين : أي مشدودة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم.

في الأصفاد : الأصفاد جمع صفد وهو الوثاق من حبل وغيره.

سرابيلهم : أي قمصهم التي يلبسونها من قطران.

هذا بلاغ : أي هذا القرآن بلاغ للناس.

أولوا الألباب : أصحاب العقول.

معنى الآيات :

ما زال السياق في تسلية الرسول ﷺ والمؤمنين وهم يعانون من صلف المشركين

وظلمهم وطغيانهم فيقول تعالى لرسوله ﷺ : ﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾[1] إنه كما لم يخلف رسله الأولين لا يخلفك أنت، إنه لابد منجز لك ما وعدك من النصر على أعدائك فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم. ﴿إن الله عزيز﴾[2] أي غالب لا يغلب غالب على أمره ما يريده لا بد واقع ﴿ذو انتقام﴾ شديد ممن عصاه وتمرد على طاعته وحارب أولياءه، واذكر ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾[3] كذلك ﴿وبرزوا﴾ أي ظهروا بعد خروجهم من قبورهم في طريقهم إلى المحشر إجابة منهم لدعوة الداعي وقد برزوا ﴿لله الواحد القهار﴾، ﴿وترى المجرمين يومئذ﴾ يا رسولنا تراهم ﴿مقرنين في الأصفاد﴾[4] مشدودة أيديهم وارجلهم إلى أعناقهم، هؤلاء هم المجرمون اليوم بالشرك والظلم والشر والفساد أجرموا على أنفسهم أولا ثم على غيرهم ثانياً سواء ممن ظلموهم وآذوهم أو ممن دعوهم إلى الشرك وحملوهم عليه، الجميع قد أجرموا في حقهم، ﴿سرابيلهم﴾[5] قمصانهم التي على أجسامهم ﴿من قَطران﴾ وهو ما تدهن به الإبل: مادة سوداء محرقة للجسم أو من نحاس إذ قُرِئَ من قِطرٍآن أي من نحاس أُحمي عليه حتى بلغ المنتهى في الحرارة ﴿وتغشى وجوههم النار﴾ أي وتغطي وجوههم النار بلهبها، هؤلاء هم المجرمون في الدنيا بالشرك والمعاصي، وهذا هو جزاؤهم يوم القيامة، فعل تعالى هذا بهم ﴿ليجزي الله كل نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب﴾ فما بين أن وجدوا في الدنيا وبين أن انتهوا إلى نار جهنم واستقروا في أتون جحيمها الا كمن دخل

---

(١) ﴿مخلف﴾ مفعول ثان لحسب، ووعده: مجرور بالإضافة، ورسله: معمول لمخلف مؤخر، والأصل: مخلف رسله وعده، وقدّم الوعد للاهتمام به.

(٢) جملة تعليلية للنهي عن حسبان خلف وعده تعالى.

(٣) الآية نصّ صريح في كون الأرض والسموات تتبدل في ذاتها وسائر صفاتها وتزول تماماً ويخلق الله تعالى أرضاً غير ذي وسماء غير هذه، وفي الحديثين الآتيين ما يقرّر ذلك:

أ ـ حديث مسلم، وفيه: (إنّ يهوديا سأل رسول الله ﷺ قائلا: أين يكون الناس يوم تبدلُ الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال: في الظلمة دون الجسر).

ب ـ حديث ابن ماجه بإسناد مسلم قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات﴾ فأين يكون الناس يومئذ؟ قال على الصراط).

(٤) الأصفاد: جمع صفد بفتح كل من الصاد والفاء، وهو الغلّ والقيد يشد به ويربط الجاني قال الشاعر:

فآبوا بالنهاب وبالسبايا وأبنا بالملوك مصفّدين

(٥) واحد السرابيل: سربال، وهو القميص، يقال: تسربل، إذا لبس السربال وكونها من قطران لشدّة حرارتها، واشتعال النار فيها.

مع باب وخرج مع آخر، وأخيراً يقول تعالى: ﴿هذا بلاغ للناس[1] ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب﴾ أي هذا القرآن بلاغ للناس من رب الناس قد بلغه إليهم رسول رب الناس ﴿ولينذروا به﴾ أي بما فيه من العظات والعبر والعـرض لألوان العـذاب وصنـوف الشقـاء لأهـل الإجرام والشر والفسـاد، ﴿وليعلموا﴾ أي بما فيه من الحجج والدلائل والبراهين ﴿أنما هو إله واحد﴾ أي معبود واحد لا ثاني له وهو الله جل جلاله، فلا يعبدوا معه غيره إذ هو وحده الرب والإله الحق، وما عداه فباطل، ﴿وليذكر أولـوا الألباب﴾ أي وليتعظ بهذا القرآن أصحاب العقول المدركة الواعية فيعملوا على إنجاء أنفسهم من غضب الله وعذابه، وليفوزوا برحمته ورضوانه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ بيان صدق وعد الله من وعدهم من رسله وأوليائه.

٢ـ بيان أحوال المجرمين في العرض وفي جهنم.

٣ـ بيان العلة في المعاد الآخر وهو الجزاء على الكسب في الدنيا.

٤ـ قوله تعالى في آخر آية من هذه السورة: ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب﴾ هذه الآية صالحة لأن تكون عنوانا[2] للقرآن الكريم إذ دلت على مضمونه كاملاً مع وجازة اللفظ وجمال العبارة، والحمد لله أولاً وآخراً.

---

(١) ﴿بلاغ﴾ أي: تبليغ للناس يقوم به الرسول ﷺ.

(٢) قال هذا: العلامة الشيخ، البشير الإبراهيمي الجزائري، وظننا أنّه إلهام من الله تعالى له، وإذا بنا نعثر في كلام الأولين على من قاله، وسبق به وجائز أن يكون الشيخ ألهمه والآخر كذلك، وتوارد الخواطر معروف ولا مانع من النقل والسكوت على من نقل عنه، إذ العلم مشاع كالماء والهواء لا غنى لأحد عنهما، ولذا فلا بأس أن ينقل العلم ولا ينسب إلى قائله لكن لا ينسب إلى غير قائله، فتلك سرقة ممنوعة.